لاڤيدا

مجموعة قصصية

لافيدا

مجموعة قصصية

نورا قاسم

تصميم الغلاف: مليكات التصميم

الطبعة الأولى: 2021

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: 2037/ 2021

الترقيم الدولي: 3- 37-6798-977-978

إشراف عام: رباب الشهاوي

الفؤاد للنشر والتوزيع

برج سانت فاتيما. امام جنينه مول. مدينه نصر

Alfouad_publishing@hotmail.com
facebook.com/fouadpublishing

لاڤيدا

"لم نُخلق لنحيا تعساء، لكنها الحياة"

مجموعة قصصية

نورا قاسم

الفؤاد للنشر والتوزيع

فهرس

إهداء

إلى كل من منحني الدعم يوماً.

إهداء إلى من أخبرتني أن التسويف لعنة، ولذلك حروفي بين أيديكم الآن.

إلى صديقتي رحمة الله عليها "رحمة أشرف السقا"

وما دمت تقرأ، أتمنى ألا تبخل عليها بالدعاء بالمغفرة والرحمة.

ليتنا لم نولد هنا

يؤسفني قولها ولكني فقدت الأمل.

عزيزي عمار

كعادة كل رسالة لا أنتظر منك ردًا، لكن أتمنى أن يكون لرسائلي اهتمام وأنك تفتقدها وتنتظرها.

أتمنى أن تعاود قراءتهم جميعًا عند رحيلي، اشتياقًا لأحرفي التي ستتوقف.

تعلم أنني لم أتعلم الكتابة سوى لأجد طريقة لأعبر لك عما يدور بداخلي، وأنني لا أكتب لسواك صحيح؟!

لك الفضل في أنني اكتشفت شيئًا هامًا بي، لذا ومهما حدث لم أستطع الكف عن الكتابة لك، لكنها النهاية التي كنت أنتظرها...

أخبرتك مرارًا برغبتي العارمة بالموت، بأنني لم أعد أتحمل كل ذلك الخراب داخلي. أنا لم أعد صالحة للعيش، لم أعد أطيق حالي، انتظرت وطلبت من الله كثيرًا إشارةً واحدةً؛ إشارة تجعلني أشعر أن شيئًا جميلًا سيحدث، أن رغم كل تلك المعاناة ستزهر روحي، أنني سأجد العوض الذي يُنسيني كل ما مررت به.

أنت الوحيد الذي لم أخش البوح له بكل ما آذاني، الوحيد الذي مهما حدث لا أخجل من تعرية ما بداخلي أمامه.

بعد تفكير عميق وجدت أنني لم يعد يليق بي سوى الموت، لذا أرجوك تذكرني في كل صلواتك، واسأل الله أن يرحمني، فليس لي سواك لأنتظر دعواته.
إلى اللقاء في العالم الآخر، وأتمنى أن تكون لي هناك في جنة الخلد، وأن تسأل عني رب العباد ليرحمني ويرزقني العيش بها، فرحمته وسعت كل شيء.

***

حياة فتاة في بداية العشرينات، دائمًا ما يلقبونها بلقب قليلة الحظ، فهي لم تولد جميلة كأبويها كما يقولون، ولم تستطع إكمال دراستها، كما أن والدها قد توفى وهي في عمر الخامسة عشر.
لكنهم بالطبع كاذبون، فقد كانت فتاة طويلة بشرتها قمحاوية ليست بيضاء لكنها تملك ابتسامة ساحرة تزيد من جمالها أسنانها البيضاء المرصوصة في نظام شديد، عيناها عسليتان، شعرها ليس طويلًا لكن لونه ونعومته تجعله شديد الجمال، وقوامها ممشوق.
بعد أن أنهت كتابة رسالتها أخذت تتذكر حياتها الماضية.

***

فاطمة بنبرة راجية:

ـ أخفض صوتك أرجوك، ستستيقظ حياة.

محمود بنبرة حادة:

ـ تستيقظ أو تمت حتى ليس مهمًا، لقد سئمت منكما وأود التخلص منكما عاجلًا غير آجلً لعلني أحظى بالحياة والأولاد الذين رغبت بهم دومًا ولم أحظ بهم بسببك.

وكعادة كل ليلة، أفيق على صوت أبي الجهوري ولكني أظل ساكنة في مكاني أدعي النوم وأخشى الخروج من تحت لحافي وكأن شبحًا ينتظرني بالخارج، أستمع لما يقوله أبي بعينين باكيتين حتى أغرق في نوم عميق.

في الصباح استيقظت واتجهت لغرفة المعيشة لأتناول الافطار مع أبي وأمي.

ـ صباح الخير.

ابتسم الاثنان وردا التحية بشكل اعتيادي.

أظن أنه لولا سماعي لشجاراتهم بأذني كل ليلة لكنت على يقين أن والداي أسعد زوجين في العالم. لا أدري لمَ كل ذلك التمثيل؟ أيخشيان علي من الحزن أم ماذا؟! سمعت مرارًا عن قصة حب والداي من أكثر من شخص، أمي وجدتي وإحدى جيراننا أيضًا.

كانت أمي في عامها التاسع عشر تدرس في كلية الآداب قسم التاريخ، فقد كانت تعشق التاريخ منذ أن كانت في الابتدائية. كانت فتاة شديدة الجمال يُغرم بها كل من يراها، بشرتها ناصعة البياض، عيناها زرقاوان كلون البحر يغرق

بهما كل من رآها، شعرها بني ينسدل كالموج على أكتافها ولها اِبتسامة ساحرة. كانت في طريقها إلى الجامعة مع صديقاتها، وكُن يتسامرن ويضحكن، فرآها أبي وفُتن بضحكتها وعزم على العزوف عن كل الفتيات اللاتي يعرفهن ويجعل قلبه ملكاً لها وحدها.

كان أبي طويلاً عريض المنكبين، بشرته قمحية، شعره أسود غزير، ذو لحية مهندمة تزيده وسامةً، وكانت كل فتيات القرية تتمنين منه نظرة واحدة، فكان يستغل وسامته ومركزه الاجتماعي أيضًا ويرافق كل من تعجبه. كان أبي من عائلة كبيرة، فقد كان لجدي شركة كبرى وكان أبي يعمل معه بها هو وعمي أحمد، حيث تخرج الاثنان من كلية التجارة.

منذ رأى أبي أمي أول مرة وهي دائمًا تشغل باله وتزوره في أحلامه، فسأل عنها حتى عرف عنها كل شيء وأخبر جدي برغبته في الزواج منها، ولم يعترض جدى حين سأل عنها، فقد كانت أمي معروفة بُخلقها الحسن وعائِلتها الطيبة؛ لكن حينما علمت أمي برغبة أبي في الزواج منها رفضت، ليس بسبب ما هو معروف عن علاقاته الكثيرة فحسب، بل لأنها كانت تحلم بتحقيق الكثير قبل أن تفكر بتلك الخطوة. كانت ترغب في إتمام دراستها ومن ثَم تُسافر كل أنحاء العالم، فقد كانت تهوى السفر؛ لكن جدي كان يرفض دائمًا بحجة أنها صغيرة ولا يمكنها أن تسافر قبل أن تتزوج. ومع محاولات أبي الكثيرة وموافقة أهلها

وتمسكهم به، اضطرت للموافقة على أمل أنها ستستطيع جعله يغير رأيه خلال فترة الخطبة الطويلة، فقد اشترطت ألا يتم الزواج إلا بعد إنهاء دراستها، لكن خلال فترة الخطبة أُغرمت بأبي وتناست كل ما خططت له، وتخلت من أجل الحياة مع أبي عن كل أحلامها، وتزوجا، وبعد شهر من زواجهما تقريبًا رأى أبي الكشكول الخاص بأمي صدفةً وقرأ كل ما دونته به وعزم على أن يحقق لها كل أحلامها، وبالفعل خلال شهر واحد كانا قد سافرا لأكثر من بلد من ضمنهم كوريا واليونان وإندونيسيا كما كانت تحلم...

وبعد عام واحد فقط أنجباني، فرحت أمي كثيرًا وغمرتني بالحب والحنان، بينما حزن أبي حزنًا جمًا، فقد كان يظن أن مولوده ذكرًا وليس أنثى. استمر عامًا كاملًا لا يحملني ولا يقبلني ولا يتمعن في النظر لي حتى، عامًا كاملًا لا يتقبل وجودي، ولكن مع كثرة حديث جدي معه تغير تدريجيًا معي وأصبح يعاملني كما يعامل الآباء أبنائهم، يمثل أنه يحبني وأنه يشتاق لي كلما سافرت مع أمي عند جدتي بعدما انتقلنا من قريتنا للقاهرة حيث عمل أبي، لكنني رغم صغر سني لم أشعر بحبه لي أبدًا؛ كنت أشعر أن جدي هو أبي الحقيقي، فقد كان يعوضني ويغمرني بحبه، وكان يلاعبنا دائمًا أنا ومروان ابن عمي أحمد.

كان أبي يرغب في الإنجاب ثانية، وكأنه تزوج أمي لينجب ولدًا ليس إلا، نسي حب سنوات فقط لأنها لم تستطع الإنجاب مرة أخرى بعدما أضطر الأطباء

لاستئصال رحمها نتيجة إصابتها بورم خبيث. تأثر أبي في البداية كثيرًا لكنه بعد فترة سأم الحياة مع أمي وقرر الانفصال عنها والزواج مرة أخرى عله ينجب ذلك الابن الذي لا يتمنى سواه من الدنيا. لكن جدي عارضه وحذره إن لم يتراجع عما ينوي فعله فسيطرده من الشركة ويحرمه من كل شيء ويربيني هو ويعتني بي وبأمي؛ وبعد تفكير قرر أبي ألا يخسر كل ما يملك، فتراجع عن مخططاته وبدأ يعاملنا معاملة حسنة، فأصبح يقضي معي الكثير من الوقت ويحضر لي الهدايا، حتى ظن جدي وأمي أنه قنِع ورضي بما قسمه الله له.

قطع شرودي صوت أمي وهي تحثني على التركيز في طعامي فأكملت إفطاري وأخرجت الموضوع من بالي متناسية كل شيء.

بعد عدة أشهر جاءتنا مكالمة من المستشفى أن الأستاذ محمود رشدي "والدي" وزوجته قد تعرضا لحادث وحالتهما حرجة؛ اندهشنا عندما قال وزوجته، فقد كانت أمي من تجيب الهاتف، لكننا سرعان ما ذهبنا للمستشفى.

كان أبي قد قرر الزواج سرًا وحينما ينجب الولد يواجه جدي ويقنعه، لكن لم يرزقه الله بذكر أو أنثى، وكأنه سبحانه يعاقبه على عدم رضاه.

تزوج عدة مرات، وفي كل مرة عندما يمر شهر ولا تحمل زوجته يطلقها؛ وفي آخر مرة حملت زوجته وأخبره الطبيب أنه صبي، فرح كثيرًا وكأن كل أمنياته تحققت، وبعد مرور ثمانية أشهر أخبرنا أنه سيسافر من أجل العمل، لكنه انتقل

لبيتها لحين موعد ولادتها، ويوم الولادة وهو في طريقه للمستشفى اصطدم بشاحنة كبيرة وماتت زوجته وطفلها وفقد أبي بصره.

ساءت حالته النفسية كثيرًا، وخاصة بعدما تيقن الأطباء أنه لم يعد هناك أمل نتيجة حدوث نزيف في شبكية العين إثر الحادثة. وبعد فترة سمحت حالته الصحية بخروجه، لكنه قرر البقاء في بيت العائلة حيث يسكن عمي وجدي، وخاصة بعدما توفيت زوجة عمي خلال فترة علاج أبي بالمستشفى بعد صراعها مع السرطان.

كان المنزل مليئاً بالحزن على أبي وزوجة عمي، وكانت حالة أبي النفسية تسوء يومًا بعد يوم إلى أن لاقى ربه.

مات أبي، ومنذ حينها بدأت حياتنا تتغير شيئًا فشيئًا؛ للأسوأ بالتأكيد.

لم أكن أحب أبي كثيرًا، لكنني منذ وفاته لم أعد أشعر بالأمان. رحل أبي ورحل معه الشجار والتوتر، ولكن رحلت معه الطمأنينة أيضًا، فأمي لم تنجب سواي ونحن في مجتمع شرقي ولا يجوز أن تحيا امرأة مع ابنتها بمفردهما دون وجود رجل، وخاصة بعد أن صممت أمي على العودة إلي بيتنا بعد رحيل أبي. لذا وبمجرد إنقضاء عدتها، حاول أهل أمي كثيرًا إقناعها بفكرة الزواج، لكن كل أحلامها كانت قد استيقظت بداخلها من جديد، فبدأت تبحث عن عمل يناسبها، ومع إصرارها وافقت جدتي بعدما انتقلنا للعيش معها. لم أحب الأمر

في البداية، لكن مع مرور الوقت أحببت العيش معها كثيرًا، وتحولت حياتي من العزلة والكآبة التي لا تناسب سني إلي السعادة والبهجة..

بعد بضعة أشهر عاد خالي وعائلته ليقضوا إجازة نهاية العام في مصر، "معنا في منزل جدتي"

كانت أمي في غاية السعادة، وأخذت تنظف المنزل وتعده لاستقبالهم. لم أكن أتذكرهم جيدًا، فقد سافروا منذ زمن، كما أن والدي لم يكن يسمح لنا بالبقاء معهم طوال فترة إقامتهم في مصر، فلم نكن نراهم سوى يوم المجيء ويوم العودة.

بعد الانتهاء من السلامات والأحضان أخذوا قسطًا من الراحة إلى أن جهزت أمي سفرة الطعام، وبعد الانتهاء جلسنا جميعًا نتسامر، ثم ذهب الجميع للنوم إلا أنا؛ فضلت الجلوس وحدي في حديقة المنزل بعض الوقت، وبعد فترة جاء عمار بهدوء ليفزعني لكنني انتبهت له يقول متسائلًا:

ـ ماذا تفعلين وحدك في هذا الوقت المتأخر من الليل؟

ـ أشاهد النجوم وأفكر في بعض الأشياء.

ـ إذاً أتسمحين لي بالجلوس؟

ـ عذراً، لكني أحب الجلوس في صمت وهدوء.

ـ إذن سأشاركِ صمتك.

ـ ستمل صدقني.

ـ ومن يمل بجانبكِ سيدتي الجميلة؟

خجلت من رده فاستأذنته متحججة بتأخر الوقت. تركته واتجهت إلى غرفتي وغُصت في نومٍ عميق بسبب تعبي طوال اليوم، وكعادة كل يوم استيقظ على صوت المنبه، ذلك المزعج الذي يوقظني من أجمل الأحلام

"*صباح ومسا شي ما بينتسى تركت الحب وأخدت الأسى... صباح ومسا شي ما بينتسى*"... قاطعته قائلة وكأني أحدثه: اصمت لقد استيقظت، لا تصيبني بالصداع في بداية اليوم.

استيقظنا باكرًا وتناولنا الإفطار جميعًا في جو أسري افتقدته، وبعد الانتهاء من الطعام ذهبت أمي لعملها، بينما جلس خالي وزوجته مع جدتي، وخرجنا أنا وعمار وشروق للحديقة...

تحدثنا كثيراً، إلى أن أقترح عمار أن نلعب لعبة الوصف، فقلت:

ـ ماذا تعني؟ لا أفهم!

ـ سيصف كل شخص الآخر كما يبدو شكلاً وموضوعًا.

وأخذ يضحك لا أعرف لماذا. وافقنا وقررنا أنا سأصف رحمة ورحمة تصف عمار وهو يصفني.

فقالت رحمة ضاحكة:

ـ إذن يا جميلتي كيف تريني؟

ـ أنتِ فتاة جميلة.

ـ لا وصف شامل عزيزتي، لا تتلاعبي بنا.

ـ إذن أنتِ وكما أظن تصغريني بعام أي في الرابعة عشر من عمرك،

وأكملت ضاحكة:

ـ قصيرة وجميلة، بشرتكِ سمراء لكنها ساحرة وشعرك المموج ملائم جدًا لكِ، عيناكِ وفمكِ صغيران مثل كل شيء بكِ.

قاطعتني قائلة:

ـ يكفي هذا، إنه دوري لأصف ذاك المغرور.

ـ لست مغروراً، إنها ثقة بالنفس، فأنا شخص يحبه الجميع.

ـ أعلم أعلم،

قالتها ضاحكة، ثم تابعت:

ـ عمار ورغم أنه أخي المغرور لكنه جميل حقًا مثل أبي وأمكِ، ذو بشرة بيضاء وعيون واسعة تسحر كل من يراها، فاحذري.

غمزت لي ثم أكملت:

ـ طويل جدًا كما ترين، جسمه رياضي فهو لا يفعل شيئاً سوى الرياضة والقراءة، مهتم بعقلة وجسمه كما يقولون، ومهذب وخجول جدًا، لكن لا

أعلم ماذا يحدث له الآن...

ـ أختي الجميلة أحبك ولكن لا تتحدثي ثانيةً.

ضحكنا جميعًا حتى سمعنا صوت جدتي تنادي علينا:

ـ ماذا تفعلون يا أولاد؟ اجلسوا معي فقد اشتقت لكم.

جلسنا حولها لتحكي لنا الكثير من الحكايات التي حكتها لي من قبل، فهي وبسبب كبر عمرها تستمر في إعادة الأشياء ولا تتذكر ولكننا نستمتع كثيرًا. أحب حكايات جدتي وأنتظرها دائمًا رغم حفظي لها، ومن أكثر الحكايات التي ترويها لي- بما أني الوحيدة لأمي- أن رفيقتها أنجبت فتاة وكان زوجها يرغب أن يكون له أبن، وبعد مرور الكثير من الأعوام وفقدان الأمل أنجبت ثلاثة أولاد في بطن واحدة. تخبرني دائمًا أن السر يكمن في الدعاء والإلحاح إلي الله، فالله يحب عبده اللحوح ويحب أن يناديه عباده فيجيبهم. أحب إيمان جدتي وحرصها الشديد على الصلاة وقراءة القرآن، وقد بدأت في حفظ القرآن بفضلها وحدها، وها أنا قد أتممت نصفه.

عادت أمي من العمل وطلبت مني أنا ورحمه الذهاب للسوق، وفي طريق ذهابنا قالت رحمة:

ـ أخبريني عنكِ كل شيء.

ـ ماذا تريدين أن تعرفي تحديدًا؟

ـ كل شيء، كل شيء.

نظرت لها وأنا أضحك وأشعر بالاستغراب في آن واحد، ثم قلت:

ـ جزئي السؤال كما تحبين وسأجيبك

ـ ماذا تريدين أن تصبحي؟

ـ طبيبة نفسية، فأنا لا أجد من يسمعني ويشعر بي مطلقًا، لذا أود سماع الجميع ومساعدتهم.

ـ أنا هنا ومستعدة لسماعكِ وقتما تريدين.. ماذا بكِ؟

ـ لا عليك.. إنه أمر قديم.

حَاولت تغيير مجرى الحديث حتى لا تصيبني بالحز،ن وأخيرًا وجدت شخصًا يشعر بي ولو قليلاً؛ لم يراودني سوى مقولة "لن تظل وحيدًا أبدًا فتلك مجرد فترة وستزول فوحدتك ستنتهي ككل شيء سيء مررت به"....

ـ أين ذهبتِ؟ نظرت لي متسائلة

ـ ها أنذا معكِ، ماذا تحبي أن تعرفي أيضًا؟

ـ ماذا تفعلين في وقت فراغك؟

ـ أقرأ الكتب والروايات وأراجع ما حفظته من القرآن لأستطيع ختمه في أقرب وقت.

ـ جميل.. أنا لا أحب القراءة، لكن عمار يحبها كثيرًا.

على الجانب الآخر، شرع عمار في قراءة كتاب جديد، وإذا برفيقه ياسر يهاتفه، فأجابه سريعًا:

ـ لقد اشتقت لك كثيرًا يا رفيقي، كيف حالك؟

ـ كثرة اتصالاتك تؤكد ذلك، قالها ضاحكًا

ـ لك حق العتاب أعلم، لكني انشغلت كثيرًا أعذرني، تعلم أنني لم أزر مصر منذ زمن.

ـ كريستين تسأل عنك دائمًا، لا أعلم كيف تتحملها، إنها تصيبني بالصداع.

ـ إنها صديقتي تعلم وأحبها كثيرًا، سأهاتفها مساءً على كل حال. أخبرني كيف تسير الحياة عندك؟

ـ كل شيء كما تركته لا جديد.

واستمرا في الحديث طويلاً حتى عادت الفتاتان

مرت الأيام واقتربت حياة من رحمة وعمار كثيرًا، ولكن حان موعد عودتهما سريعاً واتفقا أنهم سيظلوا على تواصل دائمًا.

حزنت كثيرًا على فراقهم وعلى عودتها وحيدة، ففتحت دفترها وكتبت

" لا تبتئس، فأنت في دنيا الواقع، ولا شيء مكتمل هنا".

ذهبت للنوم واستيقظت متأخرة، فطقوس حزنها تُحتِم عليها النوم كثيرًا كلما شعرت بالضيق، وهي في تلك الفترة في أقصى حالات حزنها، فقد ابتعد عنها

أكثر من تحب بعدما شعرت بالحب والحياة أخيرًا.

بعد المغرب دق جرس الباب فذهبت لتفتح فإذا به جدها

ـ حبيبة جدها افتقدتك كثيرًا، قال وهو يعانقها.

ـ وأنا افتقدتك كثيرًا يا جدو، كنت أرغب في زيارتك والبقاء فترة بجاورك ولكن عمل أمي يمنعنا من السفر كما تعلم.

ـ ستأتين يا عزيزتي لتعيشي معي كل العمر لا تقلقي، قالها وهو يخرجها من حضنه ليدخلا .

نادت حياة لوالدتها التي جاءت مرحبة :

ـ مرحبًا بك يا عمي، طمئني عليك فقد اشتقنا لك كثيرًا.

ـ وأنا أيضًايا ابنتي، ولهذا جئت لأنهي هذا الشوق.

وبعد أن ضيفته أمي بدأ يتحدث بشكل جدي بعدما طلب مني الرحيل لبعض الوقت ليتكلم هو وأمي على انفراد.

ـ جئت اليوم لأطلبِ منكِ الزواج من أحمد. تعلمين أنه أصبح أرملًا وأنتِ أيضًا، لذا فالأفضل أن تتزوجا لتربيا أبنائكما معًا بجواري.

ـ لكنني أستطيع تربية ابنتي بمفردي، قالتها أمي وهي تحاول الحفاظ على هدوئها بعدما صدمها جدي بطلبه.

ـ أنا أيضًا أستطيع تربية حفيدتي بمفردي، لم أصبح عجوزاً لتلك الدرجة،

رد جدي مما أثار غضب وحزن أمي، وأكمل حديثه:
ـ تعرفين أنني يحق لي أن آخذ حفيدتي لتعيش معي من الآن لكني لا أود أن أفصل بينكما، لذا فكري في طلبي، ولكن إن لم توافقي سآتي الأسبوع القادم لاصطحابها لمنزلي ولكِ الحق في رؤيتها وقتما تشائين...
رحل جدي وترك أمي حزينة حائرة لا تعرف ماذا تفعل.
بعد ثلاثة أيام، وبعد عودة أمي من عملها أحضرت الطعام كعادة كل يوم ولكن مازال الحزن يسكن وجهها منذ رحيل جدي، فسألتها للمرة المائة تقريبًا عما حدث، وأخيرًا حكت لي ما قاله جدي وأنها قد قررت ألا تخسرني وستوافق على عرضه، وأنها قدمت استقالتها اليوم وستهاتف جدي لتخبره بقرارها...
صعقت مما سمعت، فلم يخطر ببالي أن تتزوج أمي ثانيةً وخاصة من عمي، فعمي كان ومازال يعشق زوجته رحمة الله عليها ولن يتقبل أمي لا هو ولا ابنه مروان.
أخبرت أمي خالي وجدتي عن قرارها ولم يعترضا، فهما يريان أن أمي كبيرة بما يكفي لتتولى أمور حياتها كما تريد.
هاتفت أمي جدي وأخبرته بموافقتها، فأخبرها أنه بعد أسبوع من الآن سيكون عقد القران وسننتقل للعيش في منزله "منزل العائلة"
مر الأسبوع سريعًا ولم يستطع خالي الحضور، فلم يحضر عقد القران سوى أمي

وجدتي وجدي وعمي ومروان والشهود.

كانت أمي قد جهزت كل أغراضنا فنقلهم عمي للسيارة، واتجهنا لمنزل جدي حيث يعيش عمي معه بما أنه أبنه الأكبر.

كان منزل جدي جميلاً جدًا، أتذكر أنني كنت أحب اللعب في حديقته الواسعة في صغري، فقد كان المنزل مكوناً من طابقين؛ الطابق الأرضي به ثلاث غرف للنوم إحداها لجدي وغرفتان كاتنا لأبي وعمي، استبدلت إحداهما وتحولت لغرفة استقبال بالإضافة للصالة الكبيرة؛ والطابق العلوي لعمي كان به غرفتان للنوم فقط وغرفة للاِستقبال، لذا أصبحت غرفتي في الطابق الأرضي بجوار غرفة جدي.

كانت الدراسة قد أوشكت على البدء، وكان جدي قد سجل أوراقي في الثانوية في فترة مكوثي عند جدتي يقينًا منه أنني لن أنتقل للعيش هناك للأبد. ورغم مخاوفي الكثيرة والقلق الذي يملأ قلبي منذ أن وصلنا، إلا أن وجود جدي كان يمنحني الطمأنينة، فقد كان يعوضني غياب حنان أبي، كنت أشعر أنه أبي وليس جدي فحسب.

لم أعرف طبيعة الحياة بين أمي وعمي لكن لم أشعر يومًا أن أمي سعيدة بهذا الزواج؛ مسكينةٌ أمي لم تكن سعيدة في زواجها من أبي، والآن يبدو أنها لن تنعم بالسعادة في هذا الزواج أيضًا.

منذ أقمنا بنفس المنزل لم أر مروان سوى مرات قليلة، كان في عامه الجامعي الأول، بالطبع تأثر مجموعه في الثانوية العامة بوفاة والدته، لذا لم يوبخه عمي بل حاول التخفيف عنه، وقدم له في إحدى الجامعات الخاصة ليدرس التجارة وإدارة الأعمال ليساعده في عمله، وكان جدي يريدني أن أدرس إدارة أعمال أيضًا لأدير معهم الشركة.

كان مروان وسيمًا، فقد كان طويلًا بشرته بيضاء مثل والدته وعيناه خضراوان كخضار الأشجار وشعره طويل، كان يحب شعره ويهتم به كثيرًا وكأنه كل ما له في الحياة، كان يهتم بمظهره بدرجة كبيرة؛ يشتري الكثير من الثياب ونظارات وساعات من ماركات مشهورة وعطر أظنه يصنع له خصيصًا كان يجعل له سحراً خارقًا، فقد كانت جميع الفتيات مغرمة به، وكان يعرف الكثير والكثير منهن؛ كلما أعجبته فتاة يرتبط بها حتى يمل ثم يعرف غيرها. لا أدري كيف لشاب لم يصل لسن العشرين أن يكون على علاقة بكل هؤلاء الفتيات، والأدهى كيف لهؤلاء أن يرتبطن به وهم يعلمون عنه ذلك!!

كنت أقضي يومي بين المدرسة والمّذاكرة أحاول أن أشغل نفسي حتى لا أفكر كثيرًا، كنت أتوسل إلى الله دائمًا حتى يباعد بيني وبين التفكير حتى لا أجن، فالتفكير لعنة وها هي أصابتني. والله ما فقدت إيماني بك لحظة ولكني أصبت بلعنة التفكير.

كانت أمي تحاول التخفيف عني وخاصة في فترة الامتحانات، فهي تعرف كم يعتريني القلق في تلك الفترة ويتملكني، ولكن يبدو أن لا أحد سيستطيع انتشالي مما أنا فيه.

مرت الأيام واقتربت الامتحانات، كنت كلما شعرت بالضيق حادثت عمار ليخفف عني، لكنه بعد فترة لم يعد يملك متسعاً من الوقت؛ أصبحت أحادثه ولا يرد على رسائلي، لكني استمريت في كتابة الرسائل له وأصبحت أراسله في حزني وسعادتي ولم أعد أنتظر منه ردًا، لكني كنت أشعر بالراحة في مراسلته، مع الوقت أصبحت أشتاق إليه كثيرًا فقررت أن أسأل رحمة عنه وعن أحواله، فعلمت أنه قد ارتبط بصديقته كريستين...!

وقع خبر ارتباطه عليَّ وقع الصاعقة، ووقتها فقط تيقنت من أن مشاعري تجاهه لم تكن سوى حبًا.

بكيته كثيرًا في محاولة لانتزاعه مني لكني لم أستطيع أن أنساه ولا أن أكف عن محادثته، فوجدتني أتفنن في الكتابة كما تفننت في الكآبة.

بدأت أسجل مشاعري نحوه وأرسلها له يوميًا متناسية أمر كرامتي وكبريائي وكل شيء، متذكرة فقط حبي له.

"لكنني لا أفهم كيف لقلبي أن يهواك وأنا على يقين أن قلبك معلق بأخرى؟!"

أرسلتها له ولم يرد أيضًا، لم يحاول جعلي أنساه حتى، ألا قيمة لمشاعري عنده

لتلك الدرجة؟؟

وكأنني لا يكفيني حزني بسبب عمار، أصبحت الأحزان تُصب عليا صبًا. فقبل موعد أول امتحاناتي النهائية بيوم واحد فقط استيقظت مفزوعة على صوت صراخ أمي وقد مات جدي، دخلت في حالة صدمة وفقدت النطق ولكن لم يهتم بي أحد سوى أمي؛ لم أشعر بحب عمي لي مطلقًا ولكني كنت مكتفية بجدي. كان عمي ومروان يعاملانا أنا وأمي جيدًا لأجله.

أذكر في إحدى الأيام حرقت أمي قميص عمي دون قصد وذهبت لتعتذر منه فضربها وانهال عليها بالشتائم، كنت أظن والدي أسوأ رجلٌ في الدنيا لكن في هذا اليوم شعرت أنه لم يكن سوى ملاكًا، فرغم شجاراته العديدة هو وأمي لم يسبها أو يضربها يومًا.

حين سمع جدي صوت عمي المرتفع ورآه يضرب أمي عنَّفه وهدده إن تكرر الأمر سيحاسبه حسابًا عسيرًا، ليس هذا فحسب بل إن عاملني أنا أيضًا بسوء هو أو مروان سيطردهما من المنزل، ومن حينها وهو يحاول معاملتي أنا وأمي معاملة حسنة. لكن الآن من سيحمينا منهم وخاصة من هذا الفاسد مروان، من سيحميني منه؟ ففي وجود جدي حاول كثيرًا أن يتحرش بي ولكني كنت أهدده بجدي، فماذا أفعل الآن؟؟

كل تلك التساؤلات كانت تدور في رأسي منذ علمت بموت جدي ووقتها

تذكرت ما كتبته عن الموت.

"عزيزي الموت أعلم أنني اخافك جدًا لكنني لم ولن أكرهك يومًا، قد يكرهك الكثيرون لأنك تسلب منهم أحبابهم لكنني لست مثلهم؛ فنحن جميعًا نعلم أنك حق كما أن الساعة حق، ومن البديهي أن الجميع سيموت عاجلًا أم آجلًا فلمَّ الحزن!!

ألم الاشتياق لا يُحتمل أعلم. لكن هل كان بمقدورهم أن يخففوا من آلام من يحبون وهم على قيد الحياة؟!

عزيزي الموت لا أعلم متى ستُقبل عليّ، متى ستأخذني من هذه الحياة البغيضة، لكن اِعلم أنني دائمًا في اِنتظارك وتذكر أنني لم ولن أكرهك يومًا."

كنت طوال حياتي أؤمن أن الموت راحة، وأحسد من يموت ويذهب إلى الله، لكنني لم أتوقع أن أغير كل قناعاتي بموت جدي.

جدي كان أهم من لي في الحياة بعد أمي، الوقت الذي أقضيه معه فقط هو الذي يحتسب بينما بقية الأوقات أظنها محذوفة ويجب أن يعوضني الله عنها.

أخبرني جدي كثيرًا أن الحياة لا يمكن أن تكون كلها سعادة، وأنه لولا الحزن لما عرفنا معنى السعادة، لكن قلبي لن يحتمل كل ذلك الحزن وخاصة في غيابه.

تجاوزت غياب جدي لكن قلبي لم يكف عن البكاء لحظة، خاصة بعدما قرر عمي إخراجي من المدرسة بعدما فاتتني الامتحانات بموت جدي.

لم أكن اجتماعية ليكون لي رفاق، في كل مراحل تعليمي الثلاثة الوحيدين الذين رافقتهم وأحببتهم بكل ما أوتيت من حب كانا عمار ورحمة، رحمة لا تملك الوقت الكثير لتحادثني خاصة أنها أصبحت بالثانوية وكل تركيزها منصب على مذاكرتها، وعمار لم يسأل عني منذ عام تقريبًا.

كانت أمي تقوم بكل الأعمال وحدها ولا تجعلني أساعدها في شيء وكلما طلبت أن أُساعدها تقول لي يكفيكِ ما بكِ، لكن عمي لم يعجبه الوضع، ليس خوفًا على أمي بل ليجعلني أعاني، لا أعرف ما الذنب الذي ارتكبته ليكرهني هكذا، أشعر وكأن هذه العائلة تكره الفتيات. لكن جدي لم يكن كذلك، فقد كان يحبني أكثر من أي شيء في الدنيا، وهذا السبب الذي جعل مروان يكرهني على الأغلب ويحاول الانتقام مني بأي طريقة.

كنت قد أنهيت كل الأعمال المتوجب علي القيام بها وذهبت لغرفتي للقراءة، فلم يعد لي سواها، وكانت أمي قد ذهبت للسوق وعمي مازال في عمله؛ وفجأة فُتح الباب وظهر مروان أمامي، أخذ يقترب مني شيئًا فشيئًا وقد شُل جسدي وتفكيري، ولم أعد أعرف ماذا أفعل إلى أن ألتصق بي وحاول تقبيلي وحينها استوعبت ما يحدث، وحاولت الفرار. أمسكني من شعري بقوة وأعادني لنفس المكان الذي كنت أقف به، فحاولت الصراخ فكتم فمي بيد ومازال يمسك شعري بعنف باليد الأخرى إلى أن شعرت أنني سأفقد وعيي

وكنت على وشك الوقوع، وحينها فقط ألقى بي على الأرض وخرج وأغلق الباب خلفه بشدة..

كدت ان أُصاب بنوبة هلع إثر ذلك الموقف، لا أعلم كيف تمالكت أعصابي وعدت لتوازني، وبعد وقت ليس بكثير فُتح باب المنزل. خفت أن يكون هو ثانية فأسرعت لباب غرفتي لأغلقه من الداخل، لكن قبل أن أصل كان عمي فد فتح الباب بشدة تفوق مروان ونظر لي لثوان بعيون غاضبة، لم أاه هكذا من قبل وقبل أن أستوعب ما حدث كان قد لطمني بشدة لدرجة أوقعتني أرضًا وأخذ يسبّني ويضربني بقدمه وأنا أصرخ من الوجع. دخلت أمي مسرعةً لتراني بهذا الحال وقد صدمت ليصرخ في وجهها ويخبرها أن مروان رآني أقف أمام باب المنزل أنا وشاب وبمجرد مجيئه فررت للداخل وأغلقت الباب ولم أفتحه رغم نداءاته الكثير..

لم تكن دهشة وصدمة أمي شيئاً بجانب دهشتي، ولكن ما صدمني أكثر هو رد فعل أمي بدل أن تكذبه وتدافع عني أخذت تبكي وتضربني وتسبني في آن واحد وتلعن اليوم الذي أنجبتني فيه، صرخت بهم وأخبرتهم ما حدث لكن لم يجدي ذلك نفعًا، بل كان سبب في مواصلة لعنات عمي لي ومواصلة ركلاته.

"وتصب عليك الحياة الحزن صبًا ويؤذيك من لا تتوقع منه الأذى، وتظن أنك تحيا حياة وردية بينما حياتك مليئة بالأشواك."

قرر عمي حبسي في الغرفة وسحب مني الهاتف ومنع عني الطعام إلا بعض الخبز والماء القليل كان يحضره بنفسه خوفًا أن تجعلني أمي أهرب أو أي شيء؛ هي غاضبة جدًا لكنها لم ترضَ بحبسي مطلقًا، أشفقتُ على حالي وعليها كيف تظن بي كل هذا؟ هي من تبقت لي في هذه الدنيا بعدما رحل أو تخل عني الجميع، لم تستطع فهمي يومًا، لم تفكر بمصادقتي، لم تسألني يومًا عن حالي أو ماذا أشعر، لكن رغم كل شيء هي أمي التي لا يمكنني إنكار فضلها، يكفي أن كل ما يحدث معها هو بسببي أنا.

وجدت دفتراً كبيراً فأخذت أدون به كل ما مر بي، وكل ما أشعر به وكأنني أراسل عمار، هو الوحيد من أستطيع فتح قلبي له. فقد مر أربعة أعوام ومازال لم يتزوج، وسمعت أنه ترك خطيبته لكنه لم يمنحني ردًا على أي من رسائلي، أكتب ولا أنتظر رداً لكن قلبي يشتاق لكلامه، أتمنى أن يحادثني ولو لمرة متناسيًا رسائلي حتى، المهم أن يحادثني.

مر أسبوع وأنا في غرفتي بين كتبي وأوراقي إما أكتب أو أقرأ أو أنام، أسبوع واحد لكنه مر عليّ وكأنه عمر.

وأخيرًا عفا عني عمي على ذنب لم أقترفه.

استيقظت على صوت فتح الباب، وقف عمي بضع ثوانٍ ثم قال بصوت عال:

ـ سأفتح الباب وستعودين لحياتك القديمة، لكن إن رأيتكِ أمام الباب لأي

سبب كان سأقتلكِ بيدي،

ونظر لي بنظرة يملؤها الشر ورفع صوت أكثر متسائلًا:

ـ أتفهمين؟!

دخلت أمي لتسألني عن حالي وتحاول التخفيف عني، نظرت لها بنظرة يغرقها الحزن:

ـ لستُ بخير، لا ترهقي نفسكِ بالسؤال، فلن تشعري بي على أي حال.

لم تستطيع الرد فتركتني وخرجت.

لم أنتظر منها ذلك، لكني لم أعد أبالي بأي شيء ولا أي أحد، حياتي عبارة عن سجن في كل الأحوال لكن يكفي أنني سأستطيع مراسلة عمار فقد اشتقت لمراسلته كثيرًا، وفتحت بشغف عليَّ أجد ولو كلمة واحدة منه ولكني لم أجد شيئاً.

أخبرته بكل ما في قلبي علَّ تلك الأحمال تتخفف.

في المساء وأنا خارجة من الغرفة وجدت مروان أمامي، وقبل أن أغلق الباب بوجهه كان قد تخطاني ودخل وحاول الاعتداء علي ثانية، لكن حينها صرخت بصوت عال فابتعد عني، وبمجرد دخول أمي وعمي أخبرهم أنني ناديته ثم بدأت في الصراخ ما إن دخل، فضربني عمي ضربًا مبرحًا واتهمني بأنني أريد أن أجعله يكره ولده وأنه من المستحيل أن يفعل ذلك، فهو يكرهني منذ أن

مات والدي وأنني لو كنت صبياً لما حدث مع والدي كل ذلك. أخذ يصرخ في بصوت مرتفع ولكني لم أستطع سماعه وقد تشوش عقلي، فخرج وأخرج أمي ومروان وأغلق الباب وأقسم أن يتركني شهرًا في هذه الغرفة!!

ظللت في مكاني للصباح أفكر في حل إلى أن وجدتني أكتب رسالتي الأخيرة...

خرجت من شرودها على الدقات المتعالية على الباب فلم تر شيئاً أمامها سوى أشرطة المخدر والسكين، فاستمرت في النظر لهم في عجز ولا تعرف ماذا تفعل.

***

ملاكي

بكائي كان دائمًا بسببك، لكنه لم يكن عليك يومًا؛ بل على ذاتي لأنني أفرطتُ في مشاعري تجاهك، وظلمت نفسي ووقعت في حبك.

كعادة كل مساء يُحضر الكتاب والقهوة ويجلس في الحديقة الخلفية حتى لا يزعجه أحد، أما أنا في شرفة غرفتي أتأمله وهو مستغرق في القراءة وكلما أنهى كتابًا، طلبته منه لأقرأه وأعرف ما كان يجعله يبتسم وما كان يحزنه.

كان سعيدًا بحبي للقراءة واهتمامي بها ولا يعرف أني أحبها بسببه وبسبب حبي له، لا يعلم أني أغار من تلك الكتب التي يقضي معظم ساعات اليوم معها ولا يدرك أن أمنيتي الوحيدة أن يحبني مقدار حبه للقراءة وربما بعدما يحدث ذلك أرغب في المزيد.

يقيم يعقوب معنا منذ وفاة والديه قبل خمس سنوات وهو في عامه الأول في الكلية، فأبي عمه الوحيد ولذا قرر الاهتمام به.

كان يحبه كأخي إبراهيم ويراه عوضًا له عن أخي الذي سافر إلى دبي هو وصديقه مصطفى ولم نعد نراه سوى مرة كل عامين. لم يوافق أبي في البداية على فكرة سفره لكن مع رغبته الشديدة اضطر للموافقة.

كان يعقوب قبل وفاة والديه شخصًا اجتماعياً، يحب الاختلاط مع الناس،

الخروج، والتنزه. لم يكن يمر يوم دون خروجه من المنزل؛ لكنه بعد الحادث تغير كثيرًا. أصبح شخصًا انطوائيًا، لا يحضر أي مناسبة، لا يتواجد في أي مكان مزدحم، وأصبح يميل للهدوء والعزلة.

كان في عامه الثامن عشر بينما أنا كنت في الخامسة عشر، بيننا ثلاث سنوات فقط لكنه يعاملني كطفلة صغيرة مما يثير غضبي ويحزنني.

لم يكن عمي يقيم في مصر هو وأسرته، كانوا يقيمون في الخارج لكن قبل سفرهم اتفق أبي وعمي على تزويج يعقوب من أختي زينب ولم يخبرا أحداً عن هذا الموضوع.

عندما أنهى يعقوب دراسته الجامعية كانت أختي في عامها الأخير، فهما متقاربان في السن بينهما بضعة أشهر فقط. قرر أبي مفاتحتها في الأمر وأخبرهما بقراره هو وعمي؛ غضبت أختي كثيرًا ولم توافق وأخبرتنا أن صديقها في الجامعة سيأتي لخطبتها وأنها تحبه وترغب في الزواج منه، مما أثار غضب أبي وكاد يضربها لولا تدخل يعقوب.

لم يكن حزن أختي شيئًا بجانب حزني، فأنا لم ألتحق بكلية الطب حتى أستطيع الزواج به سريعًا ولا أنتظر كل تلك السنوات. ضحيت بأكبر أحلامي دون علم أحد فقط من أجله، لم أندم يومًا على قراري لكن ما الفائدة؟ فمن ضحيت من أجله سيذهب أيضاً، سيبتعد قبل حتى أن يعرف أنني أحبه.

غضب أبي كثيرًا ومنع أختي من الخروج وقرر تزويجهما لينفذ عهده مع أخيه، حتى وإن لم توافق أختي.

لم يُبدِ يعقوب أي ردة فعل، ولكني شعرت أنه صُدم من رد زينب. طوال الليل لم أستطع النوم؛ أفكر هل ما صدمه هو كلام أبي أم رد فعل زينب حقًا، وإن كان بسببها فلم صُدِمَ؟ أيحبها أم ماذا؟!

بعد يومي، بينما أقف في غرفتي أراقبه، رأيت زينب تقترب منه فاندهشت كثيًرا، ووقفت أستمع لحديثهما.

سمعتها تخبره عن حبها الشديد لصديقها وأنها لا يمكنها العيش بدونه وأنها لن تستطيع الزواج منه وعن عدم قدرتها على الرفض وإبداء رأيها، لذلك طلبت منه أن يرفض هو علَّ أبي يقتنع.

وبعد دقائق تركته وذهبت، استمر على حالته قرابة ساعتي،ن بعدها ترك كتابه وأخذ ينظر للسماء، يحدق في النجوم ولا أدرى أيفكر في حديثها أم ماذا.

في الصباح أخبر والدي برفضه الزواج من زينب وقرر السفر بضعة أيام، صُدم أبي من قراره لكنه لم يستطيع إجباره، فوافق على تزويج أختي من صديقها على شرط أن يتم الزواج خلال ثلاثة أشهر.

استقبلت أختي الخبر في سعادة عارمة، وبعد يومين جاء "علي" صديقها في الجامعة هو وعائلته. اعترضوا في البداية على موعد عقد القران، لكنهم وافقوا

في النهاية، حيث أن علي ابنهم الوحيد ويحب أختي كما تحبه وأكثر.
قبل موعد الخطبة بيومين عاد يعقوب للمنزل وكان أخي قد عاد من سفره أيضًا هو وصديقه مصطفى. بدأوا في التجهيزات اللازمة، فقد كانت الخطبة بمنزلنا، فجهزوا المنزل مما جعل مصطفى متواجد في منزلنا طوال الوقت..

كان المنزل مليئاً بالبهجة، لولا الحزن البادي على يعقوب كنت الآن في قمة سعادتي.

في صباح يوم الخِطبة توفى والد علي وحينما ذهبنا للعزاء طردتنا والدته وأخبرتنا أن هذا الزواج لن يتم وأن أختي نذير شؤم عليهم، مما أثار غضب يعقوب وكاد يرفع صوته عليها لولا تدخل أبي وأخي، وتأكد للجميع شكوكهم في حبه لها، حتى هي.

كان الجميع في حالة حزن بسبب ما حدث، خاصة أختي، أما أنا فكان حزني بسبب يقيني أن يعقوب قلبه معلق بها.. ألم يجد سواها ليُغرَم بها، كيف سأتمنى لها السعادة وبسببها سُرِقَت سعادتي.

لم تكن الحياة عادلة يومًا فهي لا تمنحنا ما نريده مطلقًا، بل على عكس ذلك؛ تسلب منا كل ما نملك لتجعلنا لا نشعر سوى بالتعاسة، وكأنها تتلذذ برؤية الألم والمعاناة في أعيننا دائمًا.

كان لنا خالة في الإسكندرية فقررت الذهاب إليها وقضاء فترة معها، لأستطيع

السيطرة على مشاعري وتجاوز ما يحدث وما سيحدث لاحقًا. ورغم اشتياقي وتفكيري المستمر بيعقوب، استمتعت كثيرًا بتلك الفترة، فأنا أعشق الإسكندرية وأمنية حياتي أن أحيا بها ما تبقى من عمري.

قررت ألا أعود إلا بعد أن أُشفَى منه تمامًا، لم أكن على يقين أن هذا سيحدث لكني قررت المحاولة.

مر ثلاثة أشهر، تناسيته فيهما وقررت العودة، وفي نفس اللحظة رن هاتفي وأخبرني أبي أن زينب ويعقوب وافقا على الزواج وسيعقدان قريبًا وأنني يجب أن أعود غدًا لأشاركهم تلك الأوقات السعيدة!!

لا أدرى هل ستكون تلك الأوقات سعيدة لي مثلهم أم لا، لكن على كل حال هي أختي وهو قبل كل شيء ابن عمي ويجب أن أفرح من أجلهما.

قررت خالتي العودة معي والبقاء بمنزلنا تلك الفترة حتى موعد الزواج، وجودها سيخفف عني كثيرًا، أعلم، لذا فرحت كثيرًا.

في اليوم التالي ركبنا قطار السادسة صباحًا واتجهنا الي القاهرة، وصلنا منزلنا في تمام التاسعة. نزلنا من السيارة فكانا أمامنا مباشرة، وقفا بمجرد رؤيتنا ويداهما ممسكتان ببعضهما البعض.

كنت أظن أني لا أبالي بالأمر، لكن بمجرد رؤيتهما سويًا فُطِرَ قلبي. اقتربت أختي مني واحتضنتني أنا وخالتي، واندهشا جميعًا من حالتي وقد تجهم وجهي

وفجأة وقعت مغشيًا عليّ.

ظنوا جميعًا أن ما حدث معي كان بسبب السفر، فاطمئنوا علي بعدما أفقت وتركوني لأرتاح.

لم يكف عقلي عن التفكير هل سأنساه؟ كيف سأحيا معهم بنفس المنزل؟ كيف ستسير الأمور؟ إلى أن غصت في نوم عميق.

تغيرت حالتي كثيرًا وأحببت العزلة بعدما كنت لا أطيق الجلوس وحدي لفترات طويلة، حاولت أمي وخالتي معرفة ما حدث لي لكنني لم أستطيع إخبارهما، فكيف سأخبرهما أني أحب زوج أختي المستقبلي من قبل أن تحبه هي. فقررت كتمان حبي وألا أفكر به ثانية مهما كلفني الأمر.

اقترب موعد الزفاف، فعاد أخي وككل مرة معه رفيقه مصطفى. قديمًا كنت كلما رأيت مصطفي قلت لنفسي إنه لولا حبي ليعقوب لأحببته، فقد كان شخصًا لطيفًا يتعامل مع الجميع بطريقة مهذبة للغاية ويعاملني بلطف.

أؤمن أن طريقتنا في التعامل مع الآخرين هي ما تحدد مدى تقبلهم لوجودنا، وقد كان مصطفى يعاملنا جميعًا بلطف، لذا أحببناه جميعًا، واعتبرناه أحد أفراد أسرتنا؛ رغم ذلك لم أكن أستطيع أن أحادثه على انفراد مطلقًا، فأنا لم أره إلا أخًا، لكني كنت أشعر بإحساس فتاة تعرف من يحبها دون أن يخبرها؛ إنه مغرم بي لذا لم أكن أحادثه حتى لا أعطيه أملاً كاذباً، لكن بعد ما حدث عادت تلك

الأفكار تراودني، وأصبحت أفكر أمازال يحبني أم لا؟ هل من الممكن أن يطلب الزواج مني؟ ماذا لو حدث؟ ماذا سأقول، سأشعر، أو سيكون ردي؟

منذ مجيئه أصبح يهتم بي كثيراً؛ رغم وجوده معظم الوقت بمنزلنا يرسل لي الكثير من الرسائل، يشاركني الأغاني التي يحبها، يخفف عني دون أن يعرف سبب حزني، ومع الوقت أحببت وجوده وأحسست أنني أحبه ولكني خِفت أن يكون هذا شعوراً مؤقتاً أتناسى به حبي ليعقوب، لذا قررت الابتعاد عنه لكني لم أستطع.

حاولت الابتعاد عنه حتى لا أظلمه معي، إلى أن جاء موعد الزواج وتزوجا ويومها اندهشت من سعادتي؛ لست حزينة لفقدان يعقوب، بل في غاية السعادة من أجله هو وأختي.

بعد سفرهما اكتشفت أنني لم أعد أفتقده أو أفكر فيه، بل أصبح تفكيري متمركزاً بمصطفى. قررت محادثته والاعتذار له عن أسلوبي السخيف في الفترة الأخيرة على أمل أن يسامحني ويعود كالسابق، ولكنه فاجئني بعرضه الزواج عليّ وسرعان ما وافقت، فقد تأكدت أنه فقط من أمتلك قلبي وليس أحد سواه، فهو لم يكن مجرد إنسان.. أظنه ملاكاً أرسله الله لي لينتشلني من أحزاني كما انتشل يوسف من غيابة الجُب.

***

وفي النهاية أصبح لي.

كان يجلس على الضّفة الأخرى من النهر يفكر بها غالبًا، وأنا هنا أفكر به ولا أستطيع رؤية سواه.

كانت أمل بيضاء البشرة، واسعة العينين، شعرها أشقر، ناعم، طويل. خفيفة الظل، تحب الجميع وتتعامل معهم بلطف ولين مما يجعل كل من يراها يُغرم بها. ربط الحب قلبيهما منذ الصغر، ويعرف الجميع أن أمل وثائر خُلقا لبعضهما البعض.

يُعرف ثائر في القرية كلها بالوسيم صاحب الابتسامة الساحرة، معروف بشهامته وكرمه، لم يبخل على أحد مطلقًا بوقته أو ماله، منذ صغره يحب الجميع بث شكواهم إليه ودائمًا ما يجد لهم الحل الأنسب، يخرج الكلام من بين شفتيه بلسمًا يشفي جراح الجميع.

كنّا على يقين جميعاً أنه سيصبح طبيبًا نفسيًا، فقد كان مجتهدًا ودائمًا ما يحصل على المركز الأول.

كان هو وأمل أبناء عم، وكما هو معروف في الأرياف البنت لابن عمها، وقد كانا متلازمين دائمًا، حتى أن الجميع كان يقول إنهما سيصبحان زوجين متفاهمين وسعيدين.

نشأتُ معهما، ولكن دون إرادة مني وقعت في حبه! وقد كان أكبر خطأ أقع به في حياتي. كنت أغار منها كثيرًا، ولكن كيف لي أن أغار على ما ليس لي!!

حاولت كثيرًا نسيان حُبه، حاولت محوه من قلبي وعقلي لكني فشلت. قررت عائلتهم الانتقال للقاهرة والاستقرار هناك، وكأن القدر قرر تمكيني من نسيانه لكن بطريقته الخاصة.

كنت أغار من أمل كثيرًا لكن عندما سافروا اكتشفت حبي لها وأصبحت أشتاق لها كثيرًا وبشدة،

مع الوقت تناسيت ثائر أو ظننت ذلك، لكنه لم يعد يخطر ببالي سوى مرات قليلة. توطدت علاقتي بصديقة طفولتي أحلام، فقد اشترى والدها منزل والد أمل المجاور لنا، فأضحينا نقضي كل أوقاتنا سويًا.

لم أكن شخصًا اجتماعيًا لكن مع الوقت أصبح لي الكثير من الأصدقاء فتغيرت بي كثير من الصفات، أصبحت شخصية مرحة، تحب خلق الأحاديث مما جعلني شخصاً محبوبًا. شعرت وكأنني أتحول لأصبح كأمل في شخصيتها.

بدأت أخاف مني ومن التغيرات التي تطرأ عليّ، ولكني أقنعت نفسي أن تلك الشخصية تناسبني وأنه مجرد وهم وأنني لا أتشبّه بأحد.

كنت أنا وأحلام نخصص يومًا كل أسبوع نذهب فيه لشراء كتاب ما ونتبادل كتبنا معًا ونتناقش في موضوع كل كتاب.

في البداية بدأنا بقراءة كتب دينية سلِسة وسهلة ليسهل علينا فهمها، اشترت أحلام كتاب "لأنك الله" بينما اشتريت "فاتتني صلاة". أحببت الكتاب كثيرًا وقررت أن يكُون موعد استيقاظي في وقت صلاة الفجر حتى لا أتكاسل عن تأديتها، تيقنت أن لا شيء أهم من أداء الصلاة في وقتها، وأن معظم الأشخاص الناجحين إذا كانوا مسلمين أو غير ذلك فهم يحافظون على عادة الاستيقاظ مبكراً، وأن ليس كل الروتين مملاً، بل يجب أن يكون لنا روتينًا صباحيًا لنستطيع الوصول لكل ما نريد.

علمت أنه إذا قرأت كل يوم عشرة دقائق فقط فكأنك حضّرت دكتوراه كل عام، وأنّ تخصيص عشرة دقائق للرياضة يوميًا قادر على إبعاد الكثير من الأمراض عنّا.

قرأت في الكتاب العديد من القصص التي غيّرت مفاهيمي، لذا أنهيته في أقل من ثلاثة أيام، ووضعت لنفسي الكثير من الخطط وعزمت على تنفيذها.

بعدما أنهت أحلام كتاب لأنك الله تبادلنا الكتب وغُصت في عظمة أسماء الله، علمت الكثير من المعاني، وأن كل اسم من أسماء الله عظيم بمفرده، وقادر على تحقيق الكثير لنا إذا دعوناه به، فصرت أقول إذا أصابني أي مكروه يا لطيف ألطف بي، وإذا ارتكبت ذنبًا يا غفور أغفر لي وللمسلمين أجمعين، إذا شعرت بالخوف يا حفيظ احفظني وإذا مرضت يا شافي اشفني. وغيرها الكثير.

أنهينا الكتابين ومعهما تغير الكثير بداخلنا، تناقشنا كثيرًا حولهم وقررنا متابعة حلقات الشيخ حازم لنفهم ونعرف أكثر عن عظمة أسماء الله.

بعدها قررت شراء كتاب "باور بانك" أما هي فقررت شراء أحد كتب الدكتور "إبراهيم الفقي" في التنمية البشرية. بعد إنهائي للكتاب لم أود قراءة الكتاب الأخر فأنا لا أحب كتب التنمية البشرية وأفضل الاستماع للفيديوهات بدلًا من ذلك، كما أن أحلام ستخبرني بما قرأت.

كان وجود ها مريحًا، لذا كانت تستحوذ على قلبي، ولم أرغب في مشاركتها مع أحد، مما جعل العلاقة بيننا متوترة، فقد حاول الكثيرون الاقتراب مني ولكني لم أسمح لهم، بينما هي بمجرد تعارفها بناهد وتقاربهما بدأت تتناسى وجودي وأصبحتا تلتقيان كثيرًا دوني!!

لم نعد نذهب لشراء الكتب فتوقفت عن القراءة، هي من كانت تشجعني على ممارستها وبغيابها لم أكرهها لكني لم أعد أهتم بشيء.

أحزنتني بتصرفاتها كثيرًا فعاتبتها ولكنها أخبرتني أنني أصبحت شخصًا مملًا وقد ملت من مرافقتي، بينما ناهد تعشق الخروج والسفر ووالداها يسمحان لها بذلك، ليست مثلي لا أستطيع حتى الذهاب إلى محل البقالة البعيد نسبيًا عن المنزل.

لأسباب تافهة تخلت عني، أنا التي أحببتها كأختي وأكثر!! لم يفلت يدي أحد

يومًا عدا من تمسكت بهم وبشدة. صدمَتي لم تكن هينة فقد كُسِرَ قلبي.

بعدما لاحظ أبي حزني الشديد في الفترة الأخيرة قرر الترويح عني فذهبنا للإسكندرية، فهو يعرف ولعي بها. وصلنا في المساء فلم نذهب للشاطئ، قررنا النوم لنستريح من السفر ونستيقظ باكرًا لنذهب جميعنا للشاطئ. في تمام السادسة كنت استيقظت، فلم أنتظر أحداً وقررت الخروج بجرأة مفاجئة.

عندما اقتربت من الشاطئ رأيته وأحسست أنه هو رغم أنني لم أرى وجهه، ولا أعلم إن كنت قد نسيته أم أني أغرمت به ثانية.

ـ ثائر أهذا أنت؟

لا أعرف كيف أتتني الجرأة لمحادثته، ولكن أُذنيّ كانتا تفتقد سماع صوته، لذا ودون وعي خرج السؤال من بين شفتيّ.

استدار ليكتشف من يحادثه فتلاقت أعيننا. وددت لو أخبرته أن نظراته تسحرني، وأنه كلما تلاقت أعيننا أشعر وكأنه يلقي عليّ تعويذة سحرية فلا أستطيع إبعاد قلبي عنه بعدها. لم أستمع لما يقول فنظر لي مندهشًا ثم سألني ثانية:

ـ سماء!! ماذا تفعلين؟ وأين والديكِ؟

ـ في الشاليه، مازالا نائمين، لكني أردت استنشاق الهواء فخرجت فور استيقاظي.

ـ هل جئتم جميعًا؟

ـ نعم لقد جئنا أنا وأمي وأختي.

ـ وأمل هل جاءت معكم؟؟

لم ينتظر إجابتي، وإنما تركني ورحل. ناديت عليه أكثر من مره ولكنه لم يرد.

استغربت كثيرًا وانزعجت من فعله، ولكني قررت عدم التفكير في الأمر والعودة حتى لا يقلق والداي.

عُدت لأجد أبي وأمي مستيقظين، تحضر أمي الافطار وأبي يمسك بهاتفه، لم أخبرهما عن وجود عائلة ثائر، ولا أعرف سبب ذلك.

تناولنا الافطار وذهبنا جميعًا للشاطئ، وبعد ساعة تقابلت العائلتان وسعدوا بهذا اللقاء المفاجئ، وقضينا اليوم سويًا لكن لم يكن ثائر موجوداً.

سأل أبي عمي صالح عنه، فأخبره أن أمل تركته وسافرت روسيا للدراسة، وقررت الشهر الماضي الزواج من رفيقها أسامة الذي سافر معها، ومن وقتها توترت العلاقة بين العائلتين وساءت حالة ثائر النفسية ولم يعد يحب الاختلاط بأحد.

أبدت عائلتي حزنها على ما حدث فقال عمي صالح:

ـ الوقت قادر على محو آلامه وأحزانه، وستلتئم جروحه وينسى تلك الفترة، ابني قوي ولن يترك شيئاً كهذا ينهي حياته.

مر اليوم بسعادة ولكني قضيت طيلة الليل أفكر فيه، ليس فيما حدث فحسب، وإنما فيما يمكن أن يحدث أيضًا.

دائمًا ما أسمعهم ينصحون الفتيات بالزواج ممن يحبونهم وليس العكس، مبررين ذلك بأن من يحبك سيسعى دائمًا لإسعادك، سيفعل كل ما يستطيع فعله وأكثر لتحبيه مثلما يحبك، سيعاملك كأميرة ولن يحزنكِ لأي سبب كان، وإن حدث سيعتذر لكِ بأي طريقة ممكنة!

كنت أفكر.. ماذا إن فعلت أنا ذلك مع من أحب!؟ ماذا إن تزوجت ثائر وأنسيته أمل وجعلته يُغرم بي؟! ماذا لو أحببني دون جهد مني؟!

أرهقني التفكير في الأمر فقررت النوم علَّ عقلي يهدئ ولو قليلًا، ولكن النوم أبى ولم يأت.

خرجت أشاهد النجوم من الشرفة فرأيته.

أيها القريب من قلبي البعيد عني

ماذا لو اقتربت واستقريت هنا بجانبي؟!

ماذا لو أمسكت بيدي ولم تتركها أبدًا؟!

ماذا لو أقبلت عليّ دون رحيل؟!

وكأنه سمع ما يدور في عقلي وجدته يسير باتجاهي فشعرت بالخوف والتوتر فأحمر وجهي رغم برودة الجو...!

بدأ حديثه قائلًا:

ـ السماء جميلة جدًا مثلكِ تمامًا، يزيد من جمالها النجوم كما يزيدك الخجل جمالًا.

أعرف أنني لم أتصرف معكِ في الصباح تصرفاً لائقًا لكني أود أن تسامحيني.

بتوتر ملحوظ خرجت الكلمات مني بصعوبة بالغة:

ـ لا عليك لم يتوجب عليّ سؤالك، لم يكن عندي علم بما حدث.

ـ غيرتِ رقم هاتفكِ بعد سفرنا فلم نستطيع الوصول إليكِ، لذا انقطع الوصل بيننا، تعرفين مكانتكِ بقلبي لذا لم أحب أن أتركِكِ تنامين حزينة بسببي.

رغم بساطة كلماته اخترقت قلبي وزادتني تعلقًا به

ـ تصبحين على خير.. أراكِ صباحًا، هناك الكثير لنتحدث فيه.

قالها مودِعًا وما زلت أشعر أن ما يحدث مجرد حلم جميل وسأفيق منه.

"يومٌ جميلٌ وينتهي برؤية اِبتسامتك، هل أصبحت عجائب الدنيا ثمانية أم ماذا؟!"

جئت للإسكندرية لأتناسى ما حدث معي، وظهور ثائر جعلني لا أفكر في الأمر مطلقًا.

شعرت أن الله سيعوضني وأنني بعدما تركت هذا الأمر لله سيؤتيني إياه، لكن ذلك الحلم عاد ليراودني.

أراه جالسًا في إحدى جهات النهر وأنا في الجهة الأخرى مستغرقًا في التفكير

فيها وأنا لا أفكر في سواه!

استيقظت وأنا أشعر بحزنٍ كبير يسكن قلبي، وقررت أنني لن أذهب لرؤيته.

مرت ساعات النهار والحزن مازال يملؤني لكنه تزايد لعدم استغلالي للفرصة والذهاب لرؤيته. مع اقتراب الغروب قررت الذهاب للشاطئ، وقفت أتأمل البحر وجماله متذكرة جملة البحر غدار فوجدتني أحادثه كما أفعل معه دائمًا، فهو الوحيد من أبث له آلامي ولا يشكو، هو رفيقي الوحيد.

لا أعلم كيف يخشاك الكثيرون ويلحقون بك صفة الغدر، أينسون كل ما بك ولا يتذكرون سوى تلك الصفة؟!!

ألا يرون كم تستمع للكثيرين وتحتويهم، ألا يعرفون أن رؤيتك وحدها تبعث الفرح في قلوب الجميع؟!!

لا يرون سوى الجانب السيئ مثلهم، لكن لماذا؟!

جلست أتأمل البحر وأنا أستمع لفيروز، لا أدري كم من الوقت قد مضى.

كانت فيروز تقول حبيتك مثل ما حدا حب ولا بيوم راح بيحب وأنت شايفها عاديه ومش بها الأهمية. بجرب ما بفهم شو علقني بس فيك..

وفجأة وقف أمامي ونظر لي مبتسمًا تلك الابتسامة التي تأسر قلبي ثم جلس بجانبي قائلًا:

ـ من المحتمل أن تندهشي مما سأخبركِ إياه لكن أسمعيني للنهاية وستفهمين.

الجميع يعرف أن حالتي سيئة منذ أن تركتني أمل، ويظنون أن ذلك بسبب حبي الشديد لها ولكن الأمر ليس كما يرون. منذ وُلدنا يقول الجميع أن ثائر لأمل وأمل لثائر، كنا أصدقاء جيدين أفهم ما تريد قوله قبل أن تخبرني به وهي كذلك. ظننا أننا نحب بعضنا البعض وتعاملنا على هذه الأسباب. ولكن بعدما التحقنا بكليات مختلفة وتعاملنا مع أُناس كثيرون وتعرفت هي على أسامه فهمت أن ما تشعر به اتجاهي ليس حباً، وأن مشاعرنا اتجاه بعضنا البعض مشاعر إخوة فقط وأخبرتني عن حبكِ الشديد لي وأنك قطعتي الوصل بينكِ وبيننا بسبب ذلك.

توترتُ وأحمر وجهي ووقفت لأذهب لكنه أمسك يدي وأوقفني وأكمل حديثه.

ـ منذ أن أخبرتني أمل وأنا لا أفكر في سواكِ، لم أود العودة للقرية ورؤيتكِ إلا عندما أتأكد من مشاعري، لكنكِ ظهرتِ أمامي فجأة فتيقنت أن الوقت قد حان لأعترف لكِ بكل ما في قلبي. لن أضغط عليكِ، أعرف أنكِ لم تتوقعي هذا الحديث الآن لذا سأتركِكِ لتفكري حتى صباح غد.

لم أرد ولم أعرف ماذا يتوجب على أن أفعل فوقف عدة دقائق واستمرت حالة الصمت بعدها تركني ورحل.

كان على حق لم أتوقع حديث كهذا ولا في أحلامي!! غربت الشمس وأصبح

الجو معتمًا فقررت العودة.

طوال الليل أفكر فيما قال، مئات الأسئلة تتسارع بداخل عقلي..

كيف عرفت أمل أنني مغرمة بثائر؟

كيف له أن يحولني فجأة من خانة الصداقة لخانة الحب؟؟

هل أحبني حقًا أم أحب حبي له؟

ماذا لو كان يحب أمل فعلًا ويود نسيانها بي؟!

هل من الممكن أن أكتفي بحبي له أم ماذا؟

رحمني من تفكيري وتساؤلاتي دقات الباب، دخلت أمي لتخبرني أن عائلة ثائر بالخارج وسنتناول جميعًا العشاء معًا. خرجت لأجده أمامي مباشرةً بنفس الهيئة التي أحبها، مرتديًا قميصًا أبيض وبنطال أسود وتفوح منه رائحة العطر الذي أعشقه.

غمزني وهو يسألني:

ـ كيف أبدو؟ وبكل ثقة أكمل حديثه

ـ منذ الصغر تخبرينا أن فارس أحلامكِ سيكن وسيمًا جدًا في الأبيض، ولا أظن أن هناك من أوسم مني فيه وعيناكِ التي ما زالت معلقة بي خير دليل.

ـ مغرور

قلتها بعصبية ممزوجة بابتسامة خرجت دون إرادة مني.

في وجوده يُغيب عقلي، تناسيت كل الأسئلة التي راودتني منذ قليل.

أظن أنني لن أنتظره ليعبر لي عن حبه وسأعترف له أنا بكل ما أشعر به اتجاهه بعد تناول العشاء.

ـ أود أن أخبركم جميعًا خبرًا سعيدًا .

قالها ثائر وهو ينظر لي بابتسامته التي تسلب عقلي

ـ لقد قررت أن أتزوج.

بسعادة عارمة سألته والدته عن المحظوظة التي ستحظى بابنها، فنظر لي وقال:

ـ موجودة هنا معنا.. سأكون أسعد شخص في هذا العالم إن وافقت سماء على الزواج مني.

تزايدت ضربات قلبي ولم أستطع أن أنطق بحرف لكن لاحظ الجميع فرحتي فعرفوا أنني موافقة. فرح أبي وأمي كثيرًا وتبادل الجميع العناق وقرئوا الفاتحة وقرروا أن تكون الخِطبة الشهر القادم في قريتنا.

وبعد عامين تزوجنا لأتيقن أن قلب ثائر لا يوجد به سواي، وأنه حتى وإن أحب أمل من قبل فلم يعد لها ولو جزء صغير بقلبه الآن.

***

شريك حياة

أتعجب من هؤلاء الذين يختارون شريك حياتهم وفق رغباتهم هم ليس إلا، يفكرون في المظهر، المستوى والوظيفة، ولا يفكرون هل يصلح ذلك الشخص أن يكون رفيقًا لهم طوال العمر، هل يصلح أن يكون أبًا لأبنائهم؟! هل يستطيعان معاً تربية أبنائهما تربية سوية؟! هل يكون أبناؤهما فخورين باختيارهم أم يلومانهما على سوء الاختيار؟!

لا يخلو منزل من المشاكل، هذا أمر بديهي؛ لكن إذا كان الزوجان متفاهمين سيتخطيانها بسهولة دون أن تؤثر على حياتهما وحياة أبنائهما.

مئات الأسر يعاني أبناؤها من كثرة المشاكل بمنازلهم، وكذلك نحن. ولِدتُ بأسرةٍ متوسطة الحال، يعمل أبي طوال النهار لكنه ينفق معظم نقوده على السجائر، ويتشاجر مع أمي يوميًا بسببها؛ وفي النهاية قررت أمي العمل ليستطيعا توفير احتياجات المنزل.

في البداية هدأ حال المنزل، لكن بعد شهرين ازدادت المشاكل، فأمي كانت تقضي معظم يومها في العمل، وأخوتي الصغار لا يتركون شيئًا محله، وحين يعود أحد والداي يجد المنزل مليئاً بالفوضى، مما يثير غضب أبي.

أبي الذي اختارته أمي لأنه شخص هادئ ولطيف، كانت تكره الأشخاص

العصبيين والمدخنين وكان أبي على عكس ذلك تمامًا؛ كان يحب الهدوء، مائل للبرود، لا يثيره أو يغضبه شيء بسهولة.

بعد عامين من زواجهما طُرِدَ من عملهِ كمحاسب في أكبر البنوك بسبب خطأ ارتكبه، استمر في البحث عن عمل ولم يجد عملاً يناسبه فتحول لشخص آخر، وبدأ يدخن وبشراهة، ومع الوقت أصبح عصبياً يثور لأتفه الأسباب!

لم يكن هو وأمي متحابين أو متفاهمين، ولا أدري ما سبب زواجهما بخلاف هدوءه السابق، لكنني كلما رأيتهما يتشاجران على أسباب لا تستدعي الشجار أيقنت أنهما لم يُخلقا ليكونا سوياً.

لم أر شيئًا يجمعهما مطلقًا؛ أبي يعشق كرة القدم وأمي لم تفكر بمشاهدتها قط؛ أمي تهوى القراءة وأبي يراها مضيعة للوقت. أمي امرأة حالمة تحلم بمستقبل مختلف، تريد أن تصبح غنية ومشهورة؛ أما أبي فشخص روتيني لا يحب التغيير، لا يفكر سوى في مرور يومه بسلام، لا يفكر في الغد مطلقًا.

بعدما بدأت أمي العمل أضحت تتغير شيئًا فشيئًا، ترقت سريعًا وازداد راتبها وارتفعت مكانتها، مما جعل أبي يغار منها ويختلق مشاكل دائمًا معها، فقررت أن توظف سيدة تهتم بالمنزل والصغار لعلها تستريح من كل تلك المشاكل، وبمرور الوقت لم تعد أمي موجودة، فقد أنصبّ اهتمامها كله على عملها، وفي فترة وجيزة استطاعت أن تصبح من أهم المسؤولين في الشركة التي تعمل بها،

بينما أبي مازال في نفس مكانته منذ التحق بوظيفته الجديدة.

طرد أبي الخادمة، وخيّر أمي بين ترك وظيفتها وبين زواجه من أخرى؛ هو من أجبرها على العمل بعدما جعلها تستقيل من وظيفتها التي كانت تعمل بها قبل أن تنجبني، والآن يريدها أن تستقيل ثانية.

لم تُصدق أمي ما يقول، وطلبت من أحدهم أن يبحث لها عن خادمة أخرى.

وبعد أسبوعين تأخر أبي في العودة، ثم وفي تمام الحادية عشر أتى ومعه امرأة ومعهما أكثر من حقيبة، وأخبرنا أنها زوجته.

كانت جميلة، تبدو أصغر من أبي كثيرًا، فهي لم تُكمل الثانية والعشيون بعد، قصيرة وذات بشرة قمحية، مظهرها يبدو غريباً، وهي ليست من القاهرة، فملابسها تدل على أنها من الأرياف.

لم تصدق أمي ما تراه، وفجأة أمسكت بالمرأة وكادت تضربها، فأبعدها أبي عنها ولطمها وانهال عليها بالضرب والشتائم.

تجمع الجيران ولم يتوقف أخوتي عن البكاء، فجمعت أمي ملابسها وقررت ترك المنزل فترك لها أبي الصغار ورفض تركي، ليس حبًا في، فهو لم يستطع يومًا أن يقوم بدوره كأب. يعتقد أن الاهتمام والتربية يقعان على عاتق أمي، أما هو فيكفي أنه يعمل ليجلب الأموال التي لم تعد تكفينا حتى.

مر أسبوعان ولم أر أمي ولا أخوتي مطلقًا؛ فقد منعني أبي من الخروج وكأنني

طفل صغير. في البداية كانت زوجته تهتم بي كثيرًا، لكنه بدأ يغار عليها مني، فقد كانت تكبرني ببضع سنوات فحسب.

بعد شهرين تم طلاق والداي، وكانت أمي قد استقرت في المنزل الذي تركه لها جدي رحمة الله عليه، طلبت من أبي السماح لي بالعيش معها ورفض فلم تحاول ثانية. صرت أذهب لها وأخوتي كل جمعة لأقضي اليوم معهم، لكن رغم كونه يوم أجازتها، لم تكن أمي تجلس معي، ودائمًا ما كانت تخبرني أنها متعبة وتريد أن تأخذ قسطًا من الراحة لتستطيع مواصلة العمل طيلة الأسبوع.

مع الوقت لم أعد أحب الذهاب إليهم وقضاء الوقت معهم، ولكن ما إن أنجب أبي من زوجته، حتى تركني لأمي ولم يعد يريدني.

ـ "مالك" أنت لم تعد صغيرًا، لذا أريد منك أن تهتم بإخوتك وأمك، فهي دائمًا ما تتركهم وحدهم مع الخادمات.

بطريقة لطيفة طلب مني ترك المنزل، لكني سمعت زوجته وهي تخبره أنها تريد أن يكتب لها الشقة باسم ابنتها، وأنها تريد أن تأخذ راحتها في منزلها ولا تريد أن تتذكر كل لحظة أنه كان متزوجاً من غيرها!

لم أتضايق من كلامها، فهي على حق؛ يجب أن أعيش مع أمي، أما هي فيكفيها الاهتمام بابنتها، لماذا تهتم بشخص غريب؟!

انتقلت للعيش مع أمي، لكني لم أشعر ولو للحظة أنها مسرورة بانتقالي، ومع

الوقت بدأت أفهم؛ فقد كان كل وقتها لعملها، تركها للعمل لأكثر من عشر سنوات جعلها في سباق مع كل من في عمرها، تريد أن تحقق كل ما حققوه في كل تلك السنين، مادامت تحب عملها هكذا لماذا تركته من البداية؟

مر عامي الأول في الجامعة وأنا وحيد لا أقترب من أحد ولا أسمح لأحد بالاقتراب مني. ومع بداية العام الثاني انضممت لفريق الموسيقى في الجامعة وهناك أصبح لي العديد من الأصدقاء. كانوا فريقاً مرحاً لا يفكرون سوى بسعادتهم، يقضون كل لياليهم في حفلات أصدقائهم يغنون ويعزفون ويتراقصون.

مع الوقت أصبحت واحدًا منهم، وأصبحت مثلهم أشاركهم كل ما يفعلون، حتى أنني بدأت أدخن وتدريجيًا بدأت أتعاطى معهم؛ كانوا جميعهم يصاحبون عشرات الفتيات، لكني لم أستطيع أن أقلدهم في هذا الشيء. فقد عاهدت نفسي ألا أفكر في الارتباط مطلقًا؛ ما زلت لا أعرف لماذا يفكر الناس في الزواج والإنجاب؟! لماذا يتزوجون ويعيشون وجهاً لوجه لسنوات؟! أعلم أن أبي وأمي لم يكونا مناسبين لبعضهما، لكن مئات الأسر هكذا، ليس هما فقط.

كنت في حفلة بمنزل أحد الأصدقاء، وعدت للمنزل متأخرًا لا أرى أمامي، لتستقبلني أمي وهي في حالة صدمة من حالتي ومئات الأسئلة تريد إجابتها..

ـ تسأليني عما أنا عليه الآن؟! لكن لم يخطر ببالك أن تسألي نفسكِ أين كنتِ من

كل هذا؟ أو كيف ولماذا أصبحتُ هكذا؟ لم ولن يخطر ببالكِ هذا السؤال، أعلم؛ لذا أرجوكِ اتركيني وشأني، لا تفكري بي ولا بالحالة التي وصلت إليها لأنكِ لن تتخيلي يومًا أنكِ السبب فيما أنا عليه...

صُدِمت أمي من تلك الكلمات، وأخذت تبكي وتعتذر مني وأخذتني في أحضانها للمرة الأولى منذ وقت طويل، وأخذت تهدئني إلى أن غصت في نومٍ عميقٍ.

استيقظت صباحًا لأجد أمي في المطبخ تُجهّز الإفطار ولم تذهب للعمل، وأخبرتني أنها طلبت إجازه لمدة أسبوعين، وأننا سنسافر جميعًا لنغير جو.

ذهبنا إلى مرسى مطروح، تلك المدينة التي تأسرك فلا تريد أن تغادرها مطلقًا، وشواطئها الجميلة عجيبة، كليوباترا، الأُبيض والغرام.

كانا أجمل أسبوعين في حياتي، لم تتحسن علاقتي بأمي فحسب، بل بأخوتي أيضًا بعدما كنت لا أحبهم لسخطي من أمي وأبي. ثم عادت أمي لحياتها المهنية لكنها أصبحت توازن بين عملها وبيننا، واهتمامها الأكبر أضحى بنا وحدنا. تركت الفرقة رغم حبي للموسيقي، لكني لم أحب حياتهم. ركزت في دراستي ومرت السنوات سريعًا.

تخرجت بتقدير مرتفع والتحقت بوظيفة بنفس الشركة التي تعمل بها أمي، وهناك تعرفت على دنيا وأحببتها. كانت تشبه أمي في كثير من الأشياء لكني لم

أكن أشبه أبي مطلقًا.

كنا متشابهين في كثير من الأشياء، ونفهم بعضنا البعض حتى دون حديث، فقررت الزواج بها ومخالفة عهدي بألا أرتبط بإحداهن.

فهمت أن المشكلة ليست في زواج شخصين وحياتهما معًا لسنوات، وإنما في اختياراتهما الخاطئة، وقد كانت دنيا أجمل اختيار في حياتي بأكملها.

تزوجنا وقررنا أننا سنستمتع بحياتنا لمدة ولو قصيرة قبل التفكير في الإنجاب، وأننا في تلك المدة سنتعلم كيف نصبح آباء صالحين، وسنتعلم كيف نربي أبنائنا تربية سوية تجعلهم فخورين بنا وباختياراتنا لبعضنا البعض.



لم أنتقم منهم وحسب!!

الحزن وحده يجعلها قادرة على الكتابة، الحزن وحده من مكنها من الكتابة... عندما لا تجد من يتفهمك وتزدحم بداخلك الكلمات، تسرد همومك وأوجاعك علك تخفف بعض الآلام الساكنة داخلك.

يقولون إن الزمن قادر على محو أوجاعك، أما أنا فأؤمن بعكس ذلك. أرى أن أحزانك المدفونة داخلك منذ زمن لن تستطيع نسيانها ولو بعد عمر، فلا تحاول، فتلك المحاولات ستزيد آلامك.

لم يكن أبي رجلاً صالحاً؛ كانت له علاقات نسائية كثيرة، يتعاطى المخدرات، ويعمل في أمور غير مشروعة، بينما أمي امرأة طيبة تخشى الله في كل قول وفعل تقوم به. وفي إحدى الأيام أُرسِلت لها صور لأبي مع فتيات كثيرة، فغضبت وقررت ترك المنزل. جاء أبي وهي تحضّر الحقائب، واندهش كثيرًا فأخرجتني من الغرفة وواجهته بالصور.

لم يغلقا الباب جيدًا، فوقفت أشاهد وأسمع ما يدور بينهما، لم ينكر أبي فعلته واتهمها أنها من أوصلته لتلك الحالة، وأنها لم تعد تهتم به، مما زاد من غضبها فأكملت تجهيز الحقائب ونادتني، فهرعت لغرفتي سريعًا. وبعد ثوانٍ جاءت وأخذت حقيبتي وأخبرتني أننا سنذهب لبيت جدي لبضعة أيام.

بكل برود قال أبي سأمر عليكم يوم الأربعاء لأخذكم، لم تعيره اهتمامًا، وبكل عصبية سحبتني وسحبت الحقائب. كان البواب ينتظرها على الباب فحمل هو الحقائب ونزلنا ثلاثتنا.

وقفت أمي تشير لسيارة الأجرة لكن السائق لم يلاحظ، فوقفنا ننتظر، وفجأة خرجت من إحدى الشوارع الجانبية سيارة يقودها صاحبها بِاستهتار وجنون وقبل أن نبتعد كان سيصدمني؛ فأنقذتني أمي وصدمتها السيارة.

صرخت بأمي بأعلى صوتي، استمريت في نداداتها، فنزل أبي مسرعًا ليجدني أبكي وأصرخ وأنا أحتضنها ولا أعرف ماذا أفعل بعدما تركني البواب وحاول اللحاق بالسيارة. أحضر أبي السيارة بسرعة، وحمل أمي وذهبنا للمستشفى، وقبل أن نصل تركتنا ورحلت...

لأول مرة أرى أبي يبكي، لكني اعتبرته المذنب الوحيد؛ هو السبب في موتها، ليس هذا فقط، فهي ماتت وقلبها موجوع بسببه.

قرر جدي أخذي للعيش معه فلم يمانع، عشت قرابة خمس سنوات مع جدي وجدتي لم أرى أبي فيهما سوى ثلاث مرات، وآخرهم منذ أربعة أعوام، فقد سافر ولم يعد حتى الآن، ولم يهاتفني مطلقًا...

كانت أمي الوحيدة لأبويها مثلي تمامًا فكنت العوض لهما عنها.

اهتم جدي بتعليمي فقررت أن أحقق حلمه وأكون طبيبة كأمي، لكني سأعمل

وأساعد الفقراء ولن أتزوج ويفرض علي زوجي البقاء في المنزل مثلها...

اقتربت الامتحانات وبدأ خوفي يتزايد، لكني لم أُظهر لهما ولم أخبرهما بما يدور بخاطري أبدًا...

لم أخبرهما عن كم الخوف الذي يتملكني كل ليلة، إحساسي الدائم أني لن أستطيع تحقيق حلمي السري الذي طالما حلمت بتحقيقه، رعشتي وشعوري أن لا شيء بعقلي بمجرد استلامي لورقة الامتحان؛ لم أخبرهما عن خوفي الدائم من عدم تمكني من إسعادهما رغم كل ما فعلاه وقدماه لي...

مرت الامتحانات بخير واستمر الخوف، لكن الله لم يخذلني، بل أعطاني أكثر مما أستحق وحصلت على تسعة وتسعون وثمانية من عشرة بالمائة وكنت الأولى على مدرستي وعلى المحافظة بأكملها.

كانت سعادة جدي وجدتي بي لا توصف، فأحضرا لي الكثير من الهدايا وكُرمت عدة مرات، فحمدت الله كثيرًا وتمنيت استمرار سعادتنا، لكن بدأت حالة جدتي تتدهور وبعد مدة قصيرة توفيت.

لم أحزن على فقدانها كجدة بقدر حزني على فقدانها كأم، كانت لي أماً حنونًا ترعاني وتهتم بكل ما أحب، تحضر لي أشهى الأطباق، تحكي لي حكاية قبل النوم كما كانت تفعل أمي رغم كبر سني، تسمعني وتنصحني، تدعمني دائمًا في كل قرارتي...

بفقدانها تذكرت أمي وحزني عليها، وتذكرت أبي وخيانته لها.

لم يكن حزني على جدتي شيئاً بجانب حزن جدي عليها، فهو لم يستطيع العيش بدونها وقبل مرور شهر ذهب إليها.

صرت وحيدة ولم يعد لي سوى الذكريات، اتخذت الكتابة صديقاً، أصبحت أكتب لي وعني كل يوم وكل ساعة.

وبعد قرابة شهر دق الباب فإذا به أبي، وقد اكتسب بعض الوزن، وترك شعره ولحيته ليطولا وشاربه أيضًا.

تفاجأت كثيرًا برؤيته ولكن تفاجأت أكثر بمن كانوا معه.

ـ تلا ابنتي الجميلة، لقد كبرتِ وأصبحتِ عروساً.

قالها وهو يحتضنني ولم أستطع منعه، لم أبدي أي ردة فعل ولكنه سرعان ما بدأ يعرفني على من معه وهنا كانت المفاجئة الحقيقة.

تلك المرأة التي تقف بجواره تُدعىَ ريما وهي زوجته وأم أبناءه، كانت في غاية الجمال ترتدي فستاناً أزرق منقوش فوق الركبة زاد من جمالها، شعرها أشقر، ناعم وطويل. عيناها واسعتان ورموشها طويلة وشفتيها مكتنزتان وكانت تضع أحمر شفاه واضح.

لم تكن أمي هكذا أبدًا؛ لم أراها تضع أي مساحيق تجميل أبدًا حتى وإن كان مجرد أحمر شفاه، ترتدي ملابس محتشمة دائمًا وملتزمة بحجابها وكان أبي يرغب

في جعلها ترتدي النقاب، فكيف له أن يتزوج أمرأه غير محجبة وثيابها كذلك!

كانت تحمل طفلًا رضيعًا أخبرني أبي أنه أخي حمزة، لكن كل ذلك لم يصدمني كصدمتي بأخي الآخر، حازم الذي يبدو من شكله أنه تجاوز الثمانية أعوام.

كيف يكون لك أبن في مثل هذا العمر وأمي متوفاة منذ خمسة أعوام فقط؟؟

سألته عن سبب عودته ولا أعرف أكنت غاضبة أم حزينة أم غير مبالية بالأمر حتى أنني لم أميز نبرة صوتي ولم أركز في شدتها ولم أعرف أن صوتي مرتفع إلا عندما بدأ أبي كلامه.

ـ اخفضي صوتك.. ألم يعلمكِ جدكِ أنه ليس من الأدب أن ترفعي صوتك وأنتِ تحادثين والدكِ!!

أثارت كلماته دموعي ولم أشعر بنفسي إلا وأنا أرد عليه وصوتي مختلط بصوت بكائي

ـ جدي!! لا تنطق اسم جدي على لسانك. أين كنت حينما كان جدي يعمل في هذا العمر ليعلمني ويربيني؟ أين كنت حينما لم أجد من يقف بجانبي غيره؟ أين كنت طوال هذه السنوات ولماذا عدت الآن؟

ـ جدكِ هو من أخذكِ مني، هو من أراد تربيتك.

ـ لو رغبت في الاحتفاظ بي معك ما كنت تركتك، لو رغبت حقاً في الاهتمام بي وتعويضي عن فقدان أمي لما تركتني كل هذه المدة، لماذا سافرت وتركتني؟!

جاء طلب جدي منقذًا لك، ولكني لست حزينة. فلو لم يطلب جدي ذلك لطلبته أنا، لقد عشت سعيدة في منزل جدي ولن أتركه أبدًا.

ـ لن تتركيه، بل نحن من سنعيش معكِ فيه، فأنا بعت منزلنا قبل سفري.

لم أندهش هذه المرة، فقد سمعت أحدهم يخبر جدي، وأتذكر حزنه حينها.

هذا الدنيء المدعو أبي كان دائمًا السبب في حزن من أحب، لكني لن أترك حقوقهم؛ هو الذي اختار العودة، فليتحمل النتيجة إذاً.

لم أسأله عن أي تفاصيل أخرى حتى عن حازم وعمره، فالأمر واضح؛ لقد تزوج تلك المرأة منذ زمن، ومن قبل وفاة أمي بأعوام.

سنحيا جميعًا معًا ولن يشعروا مطلقًا أني لا أحب وجودهم، لكني سأجد حلاً لأتخلص من إقامتهم معي قريبًا.

جدي هو الرجل الوحيد الذي أحببته على هذه الأرض، أما البقية فأنا أكرههم مثلما أكره أبي.

دائمًا ما كنت أتخيل تلك الحياة دون ذكور كم ستصبح لطيفة، فالإناث أكثر الكائنات لطفًا على الكوكب، على عكس الذكور هؤلاء الخونة بطبعهم.

لم أتحمل فكرة أن يكون لي إخوة، فقررت التخلص منهم ومن أبي معهم، فتلك الطريقة الوحيدة التي يمكنها منحي بعض السعادة، لكني لا أريدهم أن يموتوا سريعًا، لذا قررت وضع خطة لمدة شهر وخلاله يجب أن أتخلص منهم.

قررت البدء بالصغير فلن يحتاج مجهودًا كبيرًا. استمريت في مراقبته ثلاثة أيام وفي عصر اليوم الرابع خرج أبي عصرًا وترك الباب مفتوحاً وكانت زوجته مشغولة في المطبخ وحمزة يحبو على الأرض في الصالة، وحينما وجد الباب مفتوحاً ذهب اتجاهه فراقبت ريما لأتأكد أنها ما زلت في المطبخ وبعدها كان حمزة يقف على الباب فلم أفعل شيئاً إلا أن وضعته على أول درجة في السلم ودخلت غرفتي أترقب ماذا سيحدث، وبعد عدة دقائق سمعنا صرخات، وهرعنا نكتشف ماذا يحدث، فإذا بأحد الجيران يحمل الصغير الملطخ بالدماء وقد فارق الحياة...

فقدت ريما وعيها ما إن وقعت عيناها عليه، أما أنا فحملته وبكيت بحرقة كأنني فقدت أعز من لي في الحياة. منظر حمزة أحزنني لكني تذكرت أمه وأبي وأنهما السبب في فقداني لأمي، فسعدت لحزنهما.

أصيبت ريما بحالة نفسية، أما أبي فأضحى يلوم نفسه على ما حدث، ولم يعد يخرج من غرفته مطلقًا وامتنع عن الأكل.

أصبح حازم وحيدًا، فاقتربت منه وأصبح يحبني كثيرًا، وفي يوم أصيب بصداع شديد وهنا جاء الوقت الذي أنتظره، فأخبرته أني أتناول دواءً فعالًا كلما أصبت بصداع؛ كان مازال صغيراً وساذجاً فتناوله واعتاد عليه، وبعد أسبوعين أعطيته شريطًا كاملًا على أمل أن يتناوله كله، وبالفعل حدث ما تمنيته

واستيقظنا صباحًا على صوت ريما. أسرعت لأتأكد أن ما أنتظره حدث، فوجدته ملقى على الأرض وبجانبه الشريط وقد تناوله كله عدا حبة وقعت منه على الأرض. هنا لم تتحمل ريما الصدمة وأصيب بسكتة قلبية وماتت ولم يتبقَ سوى أبي، الشخص الأساسي...

أوشك الشهر على الانتهاء، ولم أجد طريقة لأتخلص منه دون أن أترك أثر. وفجأة خطرت ببالي فكرة.. حادث سير. قررت أن أنزع فرامل السيارة وبالفعل أخبرت أبي أنني سأخرج لأشتري مستلزمات للمنزل وأتممت المهمة ولم يتبق سوى أن أقنع أبي بالخروج.

أقنعته أنه بحاجة لزيارة طبيب نفسي عله يتحسن ويرتاح، وأخبرته أني سأصطحبه مساءً وبعد عدة محاولات وافق.

وفي المساء ادعيت أن بطني تؤلمني وأنني لن أستطيع الخروج، فقرر الجلوس معي وتأجيل موعد الطبيب ولكني أصريت على ذهابه. بعد عدة ساعات رن هاتفي وكان رقماً غريبًا فتوقعت ما حدث ولم أستطع الرد.

ما تمنيته قد حدث لكني لا أشعر بالسعادة.

قررت النوم، لكن من يومها لم تعد تفارقني الكوابيس، أراهم دائمًا في أحلامي ينتقمون مني، أرى أمي تبكي وجدي يوبخني وجدتي تسألني وهي مصدومة أهكذا ربيتكِ، كيف فعلت هذا؟!

لم أعد أستطيع النوم، لم تعد رأسي تكف عن التفكير، لم أتحمل كل هذا الضجيج وفجأة وجدت نفسي دون إرادة مني أخرج من الشقة متجهة للدور العلوي، أقف على السور، أتذكر كل ما حدث لي منذ أن تركتني أمي، وفجأةً رأيتهم جميعًا أبي، ريما، حمزة وحازم تمسكوا بي جميعًا وقفزنا سويًا.

***

وِهمِ الحِبِّ

ظننتني أحبك، لكنه لم يكن إلا مجرد وهم، فأنت لم تكن سوى شيئًا لطيفًا في حياتي البائسة، لذا رغبت في تصديق حقيقة حبي لك.

تمنيت وجودك رغم كل الموانع، فقط لأوحى لنفسي أنه يمكنني الوقوع في الحب كما يمكنني امتلاك ما أتمناه، لأوحي لنفسي أنه لا يوجد مستحيل ولا قواعد، وأنني يمكنني العيش كما أهوى ولو لمرة.

لا أدرى متى أحببتك ولا كيف، ولست على يقين أن ما أشعر به تجاهك يُدعى حباً. أنا التي عشت طوال عمري أبحث عن الحب، وجدتك فجأة تسيطر على عقلي وقلبي، فظننتك الشخص الذي طالما انتظرته. فما معنى أن تقتحم أحلامي فجأة دون سابق إنذار؟!

قد يبدو الموضوع غريبًا وقد تراني مجنونةً، لكني أؤمن كثيرًا بالإشارات، وظننتها إشارة، لذا وبكامل إرادتي اخترت الوقوع بك.

بدأ الأمر منذ أكثر من عامين حينما راودتني الكثير من الأحلام، فاستيقظت وأنا أشعر بصداع يلتهم رأسي ولم أتذكر أي شيء رأيته سواك، أقسم لك أنني حينها جلست أفكر قرابة ثلاث ساعات لأتذكر ماذا كان اسمك فأنا أتذكرك جيدًا، لا أعرف عنك الكثير لكن ما أعرفه كان يكفيني ولم أكن أحتاج سوى

تذكُر اسمك فحسب.

قررت أن أعثر عليك من خلال الفيس بوك، فبحث في كل صفحات أصدقائك الذين أعرفهم علّي أجد صورةً لك مع أحدهم أو تعليقاً أو أي شيء يُمكّنني من العثور على صفحتك، لكني فشلت، ومع الوقت تناسيت الأمر وتناسيتك.

وبعد أكثر من عام رأيتكُ صدفةً، حينها تذكرت ذلك الحلم وبدأت تقتحم أحلامي كثيرًا. كنت أمنع نفسي من التفكير بك وأفشل، لكني قررت أن أكتشف اسمك، ولربما بعدها أستطيع معرفة بعض الأشياء عنك.

شعرت بفضولٍ كبيرٍ نحوك، وأظن لهذا بدأ عقلي يفكر بك كثيرًا، وأوحى لقلبي أنه يحبك. تحادثنا كثيرًا في مخيلتي وأخبرتك عني كل شيء، وبدأت أشعر أنني أريد معرفة الكثير عنك، لذا قررت أن أكشف عما في قلبي وعقلي لإحدى صديقاتي، وحينها أخبرتني أنك مغرم بأخرى.

بمجرد معرفتي تبخرت من قلبي وعقلي، وشعرت أني لم أكن أحبك، وأن ذلك لم يكن سوى وهم.

مرت الأيام ورأيتك ثانيةً، حينها تيقنت أني لم أنسك يومًا، وأن ما شعرت به تجاهك كان حبًا وليس وهمًا.

لم أتفهم حالة قلبي، أنا التي لا أحب شيئاً ملكاً لغيري كيف لي أن أحب من لا

يحبني، بل ويحب إحداهن؟! كيف لقلبي أن يهواك وأنا على يقين أن قلبك معلق بأخرى!!

بعد أسبوع من الأسئلة قابلت صديقتي ثانيةً وأخبرتها عما يحدث معي، فأخبرتني أنك لم تعد تفكر بها لأنها ارتبطت بأحدهم.

لم أستطع أن أحدد شعوري حينها، أأفرح لأنك لم تعد تهتم بها، أم أحزن لأنك لا تعرفني أساسًا وأنك حتى وإن عرفتني لن أكون خيارك الأول.

قررت منح نفسي وقتًا كافيًا للتفكير، وفي تلك الفترة قررت الإجابة على الكثير من الأسئلة لعلّي أصل لحل.

كان أهم تلك الأسئلة هل سأنسى مستقبلًا أنك كنت تحب غيري؟ كانت الإجابة لا، أنا لا أنسى مثل تلك الأشياء حتى وإن حاولت.

قررت أنني لن أعاود التفكير فيك، وبالفعل نجحت؛ في البداية كنت تخطر ببالي كثيرًا، كنت أفكر فيما ممكن أن يحدث إن أحببتني كما أحبك، أتذكر هيئتك وأنت مرتدي قميصك الأسود الذي كنت أتخيلك به كثيرًا، أتخيلنا معًا وقد تذكرت حبيبتك الأولى وردة فعلي وردودك المستفزة، لكن مع الوقت نسيتك، لقد محوتك من عقلي أما قلبي فتيقنت أنك لم تسكنه يومًا.

كل هذا لم يكن حبًا، أنا من قررت إيهام عقلي لأثبت لنفسي أنه حتى وإن لم نكن نعرف بعضنا البعض يمكنني أن أحبك كما يحدث في الأفلام، لأثبت

لنفسي أنني يمكنني الوقوع في الحب وقتما أريد وبمن أريد؛ لكن هذا لم يكن صوابًا على الإطلاق....

***

لاڤيدا

ـ تيقنت أن لا شيء يحدث من المرة الأولى.

ـ لا أفهم عن أي شيء تتحدثين؟!

ـ أتحدث عن كل ما مررت به.

لم يكن حزني لسبب هين، بل كان بسبب التراكمات، قلبي ليس بهذا السوء؛ ولكن تلك المواقف لا تُمحى.

بأي حق فعلوا بي كل ما يريدون؟ أنا المخطئة من البداية أعلم. لكن هل يستطع قلبي تحمل كل هذا الخراب؟!

قلبي هش للغاية. لقد فقدت القدرة علي الحب بسببهم ولم يبقَ لي منهم أحد، لن أستطيع الوثوق بأحد أيًا كان، فجميعهم خائنين.

لكن ألم يشفقوا على قلبي مرة!

ألم يشعروا بما أحدثوه به؟!

كيف يحيون حياة طبيعية؟ كيف لا يشعرون بتأنيب ضمير؟

التراكمات هدامة، ولكن أول ما هُدم كان قلبي، فليتني استطعت تجاوز كل ذلك.

نظر لي الطبيب لفترة وكأنه لا يدري من أين يبدأ، فاستطردت في حديثي قائلة:

ـ كنت أنا وأمان رفيقتين منذ ولدنا لا نفترق، فقد كنا جيراناً وولدنا في نفس الشهر، يفصل بيننا أيام. كبرنا سويًا وكأننا توأمتان، كانت كل ما لي في الحياة بل كانت كل الحياة، لم تنجب أمي سواي ولكنني لم أشعر أني وحيدة يومًا بفضلها.

التحقنا بنفس المدرسة وكنا دائمًا نجلس معًا، من يفكر مجرد التفكير في مضايقتها تكون نهايته على يدي. كانت هي الطفلة الهادئة التي لا تمس أو تهين أحداً؛ وكان يتجرأ عليها الكثير والكثير، لذا توجب علي التحلي بالقوة لأثأر ممن يفكر في أذيتها.

كنا دائمًا نقضي أوقاتنا سويًا إما في بيتها أو في بيتي، نلعب ونذاكر ونفعل الكثير من الأشياء، كان لها أخ وأخت كنت أحبهما كأخوة لي وأحب قضاء الوقت معهما. توالت الأيام واستمر الحب بيننا، ومع نهاية المرحلة الابتدائية أصبح لنا الكثير من الأصدقاء ...

وفي بداية شهر يناير من عام ألفين، نتقلت أمان وعائلتها للعيش في بيت آخر، حزنت حزنًا جمًا وكأنها نهاية الدنيا. لم نعد نذهب الي المدرسة سويًا، أصبحت لا أراها سوى في أوقات المدرسة.

لم يشعر بي أحد وقتها، كنت أعاني وحدي إثر فراقها؛ أراها يوميًا لكني أفتقدها رغم ذلك كثيرًا، فقد اعتدت على وجودها معي دائمًا .

مرت الأيام وانتقلنا للصف الأول الإعدادي فأصبحت كل منا في فصل مختلف، وفي تلك الفترة اقتربت مني "فرح"، كانت فتاة هادئة ولطيفة تحب الجميع، في أوقات اللعب تتحول لطفلة مجنونة ومتهورة أيضًا، ملأت حياتي وبدأ حزني على فراق أمان يتبدد، داهمتني بحبها فلم أستطع إلا أن أبادلها الحب. فنحن دائمًا في حاجة لمن يُشعرنا أننا محبوبين، من يمنحنا الحب والأمان ولا ينتظر منا شيئاً في المقابل.

تحولت حياتي منذ أن أصبحت رفيقتي، هي فرح وتضيف الفرح لكل من تعرفه، ظننت أنها تملك حظاً وافراً من اسمها، لكننا لا نرى سوى من الخارج، مالم نتوغل بالداخل!

تغيبت فرح أسبوعًا كاملًا ولم أعرف عنها شيئاً، ذهبت لمنزلها عدة مرات لكني لم أجدها، أُصبت بالحزن وقتها، وتذكرت أمان وكم أصبحنا بعيدتين جدًا، فذهبت إليها وحادثتها.

ـ كيف أصبحنا هكذا يا رفيقتي؟

ـ تسأليني بعد كل هذا الوقت؟! لقد انتظرتك قرابة عام لتفسري لي، ولكنكِ لم تتذكريني، فلماذا أتيت الآن في هذا الوقت؟!

ـ أعترف أنني سيئة، وأنني أخطأت في حقكِ كثيرًا، لكني ومهما مرت الأيام لم ولن أنساكِ أبدًا أعدك بذلك. لستِ فقط مجرد رفيقة أنتِ هدية نفيسة منحني

إياها رب العباد فكيف لي أن أخسركِ؟! تذكرين حينما كنا في الصف الخامس وتشاجرنا، وقتها ظل كل منا يوضح للآخر كم يحبه وفي النهاية تعانقنا عناقًا حاراً، وكأننا لم نلتقِ منذ سنين. ذاك العناق أفتقده وبشدة.

ابتسمت لي وفجأة قفزت من مكانها وعانقتني وظللنا هكذا لفترة.

كم كنت أفتقدها، لا أدري كيف مرت تلك الأيام دونها، أعترف أنني ومهما أحببت لن يستطع أحد أن يستحوذ على مكانتها بقلبي، فهي روحي وأغلى ما أملك...

قررت المبيت عندها ذلك اليوم وحادثت أمي ولم تمانع، سهرنا طوال الليل نتسامر وفجأة ذكرّتني بفرح وماذا تعني لي.

أن تقع بين حب اثنين أمر صعب، أتساءل كيف يتزوج بعض الرجال بأكثر من امرأة، فنحن النساء تشتعل قلوبنا بالغيرة على كل من نحب، فماذا إن كان هذا هو رجلها الذي يتوجب أن يكون لها وحدها!

أخبرتها أنها متغيبة منذ أسبوع ولا أعرف عنها شيئاً مما جعلني أقلق عليها كثيرًا، إنني أحبها ولكن لكل منهما مكانتها بقلبي؛ أقسمت لها أنها ستحبها كثيرًا بمجرد الاقتراب منها، فنظرت لي نظرة لم أفهمها قائلة سنجرب إذن .

مرت الأيام وعدنا نلتقي كثيرًا أنا وأمان ونذاكر دروسنا سويًا، وبعد أسبوعين عادت فرح، وبمجرد رؤيتها ارتميت بحضنها وكأنها عائدة من الموت، وإذا بها

تخبرني أنها في تلك الفترة كانت تصارع الموت حقًا ولكنها أصبحت على ما يرام، وبدأت تخبرني عن حالتها الصحية وعن مرضها، إلى أن جاءت أمان فغيرنا مجرى الحديث فور رؤيتها، فقد وعدت فرح أن كل ما تخبرني به سيكون سرًا بيننا فقط.

ـ فرح.. أهلًا بكِ، لقد سعدت برؤيتكِ ثانية، آمل أن تكوني بخير "قالت أمان"

ـ أنا بخير الحمد لله كيف حالك "ردت فرح"

ـ بخير برؤيتك، سأذهب قبل بدء الدرس وسأراكم ثانية.

توالت الأيام وأصبح ثلاثتنا أنا وفرح وأمان نتجمع سويًا دائمًا، أصبحنا خير رفاق نشجع بعضنا على أداء الفرائض وحفظ ومراجعة القرآن ونذكر بعضنا بالأذكار، كنا خير داعم لبعضنا البعض وخير رفقاء للجنة.

كم تصبح محظوظاً حين تمنحك الحياة صديقاً بنكهة الجنة، تراه فلا تفكر سوى بالخير والجمال. تعودت دائمًا ترديد يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على حبك ودينك وطاعتك وحبي لهم، لذا ومهما حدث لا أقوى على نسيانهم.. أحببتهم وكأنني لم يتبق لي في الحياة سواهم.

اقتربت الامتحانات وانهمكنا في المذاكرة، كنا نذاكر ليل نهار، والله لم يضيعنا أبدًا. لم يكن سعينا دون نتيجة. انتهت الامتحانات وظهرت النتيجة وتفوقنا

وفرحنا بنجاحنا المتوقع وحمدنا الله كثيرًا. صدق من قال بالحمد تُدام النعم فأنا أشعر دائمًا أنه لولا رضائي الدائم بما كتبه الله لي لم أكن لأصل لأي شيء.

استمرت علاقتنا هكذا طوال المرحلة الإعدادية، نتقابل دائمًا للذهاب للمدرسة والدروس، نسهر للمذاكرة إما بالمبيت معاً في منزل إحدانا أو بالمتابعة على الهاتف. كانت أفضل فترات حياتي، ولكن الحياة ليست جميلة دائمًا، فقد افترق الثلاثي المبهج، فبدخولنا الثانوية أصبحت أنا وفرح بنفس الفصل بينما أمان في فصل آخر. فتعرفت على أصدقاء آخرين وتدريجيًا ابتعدت عنا.

لن أنكر أن وجود فرح وحبها لي كان كافيًا، لكني كنت ومازلت حتى الآن أتذكرها، مازالت تدور الكثير من الأحاديث بيني وبينها في مخيلتي، كتبت لها الكثير من الرسائل ولكن في النهاية كنت أمزقها، لا أدري أخشية ألا يعجبني ردها أم خشية اكتشافي أنني لم أعد أمثل لها شيئاً. كانت ومازالت رفيقتي التي لا يمكنني نسيانها، هي تستحوذ على جزء كبير مني؛ جزء جميل لا أريد أن يتم اِنتزاعه.

أول عام في الثانوية كان مختلفًا كليًا، لكن وجود فرح كان يداوي جراحي، ففرح كانت دائمًا دواء وراحة لكل ما يصيب قلبي؛ كنت أحسد نفسي عليها وأتساءل دائمًا ما الشيء العظيم الذي فعلته ليكرمني الله كل هذا الكرم بوجودها في حياتي، لكن المرء يحسد نفسه فعلًا، وفي نهاية العام أشتدّ عليها

المرض واحتُجزت بالمستشفى أسبوعاً. لم أعلم وقتها كيف يمكنني التصرف، كنت أخاف فقدها كثيرًا، وللأسف حدث ما كنت أخافه. لقد رحلت " فرح" عن عالمي، رحلت ورحل معها الفرح والطمأنينة، لم يعد لي أحد وأصبحت وحيدة!

شخص مثلي يخشى الوحدة، ماذا يمكنه أن يفعل بمفرده؟!

تمكنت مني نفسي الآثمة وفكرت بالإنتحار لكني لا أخشى الوحدة وحدها، أنا أخشى الموت كثيرًا أيضًا ...

أنا شخص يخشى الكثير ولا يمكنه العيش مفرده، فكيف سأستطيع الإستمرار؟!

لستُ غبية، وأعلم أن الحياة ليست وردية وكل ما حدث كان بديهيًا، فقد عشت سعيدة لفترة طويلة، وينبغي أن أدفع ثمن سعادتي، لكن ألا يكفي ابتعاد أمان؟ تمكن اليأس مني وبدأت تظهر عليّ الكثير من الصفات المتضاربة، وقتها فقط تذكرني أهلي وبدءوا يهتمون بي!

لن أنكر أهميّة وجودهم تلك الفترة، اعتدت على حياتي الجديدة شيئًا فشيئًا؛ كنت قد اعتدت الوحدة، تأخر مستواي الدراسي كثيرًا، لكنني عزمت على العودة للمدرسة وقررت ألا أضيّع سنوات عمري، وفي أول يوم لعودتي للمدرسة قابلته.

" عُمر" كان شخصًا لطيفًا ووسيمًا في الصف الثالث، يُعرف في الوسط بذكائه وتفوقه واحترامه أيضًا. كان طويلاً، أسود الشعر كثيفه، قمحي البشرة، بني العينين. اندهشت كثيرًا عندما ناداني.

ـ فيروز كيف حالك؟

ـ بخير، هل حدث شيء ما؟!

توتر كثيرًا وبعد ثواني رد قائلًا:

ـ لا فقط أردت الِاطمئنان عليكِ.

ـ شكرًا لك، وداعًا.

ـ فيروز.. ثانية من فضلك.

استدرتُ ونظرت له فبدأ حديثه:

ـ أعلم أنه فاتكِ الكثير، وأن ما مررتِ به لم يكن هيّنًا، لكني أثق بكِ، كما أنني أردت إخباركِ أنه يمكنكِ اللجوء إلى إذا ما واجهكِ أي شيء..

ـ شكرًا لك.

رحلت في ذهول وقضيت الكثير من الوقت أفكر في ذلك الموقف، وبعد عدة أيام قابلته ثانية...

لا أدري ماذا حدث لقلبي برؤيته، فقلبي لم يدق هكذا من قبل؛ أشعر وكأن قلبي أرضٌ بورٌ وعندما عبر من خلالِها أصبحت صالحةً للحياة، ولا أفهم ماذا

يحدث معي، فأنا لم أنجذب لأحد هكذا من قبل، فكيف يمكن لعيني أن تلمع مثل القمر في حالة اكتماله بمجرد النظر إليه؟!

وقف أمامي وبدأ في الحديث مباشرةً.

ـ أأخبركِ سرًا؟

لم أُجب فاستطرد في الحديث:

ـ رغبت في محادثتك منذ زمن لكني لم أملك الشجاعة وقد قررت أن أتغير، لن أترك شيئًا بداخلي إلا وسأخبركِ إياه. لقد رأيتكِ أول مرة منذ عامين، كنتِ عائدة من درسكِ أنتِ ورفيقاتك، كنتم تضحكون كثيرًا وفجأة تقابلت أعيننا فأسرتني دون أن تعلمي. أسرتِ فؤادي فلم أعد أستطيع رؤية غيرك أو التفكير بسواكِ. أحببتك دون علمك، ولم أستطع البوح، لكنى الآن وأنا أراكِ وحيدة والحزن يملأ قلبك لم أجد نفسي إلا قادمًا إليكِ لأكون بجانبكِ.

لم أستطع الوقوف ثانية وتركته ورحلت، لن أكذب عليك أكثر ما أكره في الحياة هو الوحدة، ولم يصبح لي أحداً من بعد أمان وفرح، فحياتي كانت تتمثل بهما وحدهما، أما الباقون فمجرد سلام وابتسامة ليس أكثر من ذلك، لذا كنت بحاجة لوجود أحد بحياتي، شخص يحبني ويتقبلني بكل ما بي، لكني ألهيت نفسي كثيرًا وأنهكت عقلي في المذاكرة. اقتربت الامتحانات وكنت قد تهيأت لها، يومي كان للصلاة والقرآن والمذاكرة ليس إلا.

مرت الأيام سريعًا وأنهيت امتحاناتي، وقررت أن أستغل فترة الأجازة وألتحق بدورة لإتقان اللغة الإنجليزية، وبالفعل بحثت ووجدت أكاديمية ممتازة وسجلت بها، وبعد يومين كان يومي الأول، وهناك التقيت به وكأن القدر مصمم على جعلي أهواه.

ـ فيروز كيف حالك؟

ـ بخير ماذا عنك؟

ـ بخير ما دمتِ بخير، أقدم لكي ميرا ابنة خالي.

ـ تشرفت بك يا ميرا أنا فيروز

ردت بابِتسامة تعلو فمها:

ـ سررت بلقائكِ

دخل المحاضر وعرفنا بنفسه وتعرف علينا وبدأ في الشرح، وبعد ساعتين ونصف تقريبًا أنهى شرحه وجمع أغراضه وبابتسامة ودعنا قائلًا بالإنجليزية

ـ إلى اللقاء أراكم يوم الثُلاثاء المقبل بإذن الله.

بخروجه بدأ الجميع في النهوض استعدادًا للرحيل، تناولت حقيبتي وقمت لتوديعهما، لكنهما أصرا على أن نعود معًا.

أصبحنا نذهب ونعود ثلاثتنا طوال الثلاثة أشهر حتى انتهينا من الدورة. كانت نتيجة الثانوية العامة قد ظهرت في شهر يوليو وقد حصل عمر على مجموع ستة وتسعون بالمائة والتحق بكلية الهندسة وحقق أول أحلامه.

خرجنا لنحتفل بعدها وذهبنا للملاهي، وهناك صارحني عمر بحبه ثانية حينما كنا ننتظر ميرا أثناء ركوبها لعبة بمفردها.

ـ فيروز أخبرتك من قبل وسأخبركِ ثانية ومائة إذا تطلب الأمر، أنا أحبكِ منذ عامين تقريباً، لم أحب قبلكِ ولن أحب بعدكِ، أنتِ الوحيدة التي أسرت قلبي، منذ ظهورك وحياتي تغيرت وأصبح لها معنى، لم أعد أخشى شيئاً سوى غيابكِ. لولاكِ ما كُنت أكملت تلك الدورة، كنت سأتهرب من ميرا بعد مرتين على الأكثر .

ـ لماذا أتيت معها من البداية إذن؟ هل أصرت هي عليك؟ هل تحبك وتحاول التقرب منك؟!

ـ بالطبع لا، ميرا كأختي ليس أكثر، لكن أمي هي من أصرّت حتى لا تكون وحدها أو يضايقها أحد.

ثم نظر لي وابتسامة ماكرة تزين وجهه قائلًا:

ـ أتشعرين بالغيرة أم تحاولين تغيير مجرى الحديث؟!

نظرتُ في عينيه وقلت والابتسامة تملأ وجهي:

ـ لا هذا ولا ذاك، إنه فضول وحسب.

قبل أن ننهي حديثنا نزلت ميرا ويبدو عليها التعب، فعُدنا للمنزل مباشرة.

خلال فترة الدورة كنت قد تعودت على وجودهما، فقد ملئا الفراغ الموجود داخلي وأصبحت لا أستطيع إكمال يومي دونهما!

كانت ميرا في نفس عامي الدراسي لكنها في مدرسة أخرى، اتفقنا على الذهاب لنفس الدروس وأن نتجمع أسبوعيًا ونذاكر معًا، وبالفعل فعلنا هذا فصرنا مقربتين جدًا، نرى بعضنا كثيرًا، نذاكر ونلعب ونتحاكى في كل شيء؛ أخبرتها بكل تفاصيل حياتي، حدثتها عن أهلي وعن أمان وفرح، وحزنت هي كثيرًا من أجلي. أكثر ما جعلني أتعلق بها لم يكن مواساتها لي في أحزاني ومشاركتي إياها فحسب، بل أيضًا مشاركتي بكائي، فلم يشاركني بكائي قبلها أحد وتلك كانت أبسط أحلامي، ففي لحظات حزننا نتمنى أن نجد من يشعر بنا ويشاركنا طقوس أحزاننا.

أخبرتها عن كل تفاصيل حياتي عداه هو "عمر"، كان حبه السّر الذي لم أخبره لأحد لا ميرا ولا غيرها، بينما أنا وعمر كنا نتهاتف دائمًا، ونتحدث في كل شيء ولا أمَلُّ الحديث معه مطلقًا.

أتذكر انبهاره العارم أول يوم له في الجامعة، وحماسه الشديد وحرصه أن يستمر في بذل قصارى جهده ليتخرج ويصبح معيدًا ومن ثم أستاذاً جامعياً.

كان كثير التفاؤل والأمل محبًا للحياة الناجحة، وظن أنه لن يرضى أن تكون حياته عادية؛ كان يشجعني على المذاكرة دائمًا، لا يهم إن لم أنَم أو إن كانت حالتي الجسدية والنفسية بخير أم لا، المذاكرة هي الأهم .

كنت أحزن كثيرًا ولا يعجبني نمط حياته وطريقة تفكيره في كثير من الأمور، لكنني كلما فكرت في مناقشته أتراجع وأقنع نفسي بصحة كلامه وتصرفاته!

مر عامي الثاني في الثانوية وكنت الأولى على مدرستي، فرح أهلي كثيرًا وكذلك عمر، لكن ميرا رغم أن معظم الأوقات كنا نذاكر سويًا حصلت على مجموع متوسط، بدأت تتغير معاملتها معي شيئًا فشيئاً والتمست لها العذر في البداية، وخاصة أنها بعد فترة اعتذرت مني.

وفي الأجازة سافرت أنا وأهلي عند أقاربي وقَضيْنَا أسبوعين هناك، فقد كانوا حريصين على اسعادي، خاصة بعدما كنت سببًا في فرحتهم وتشريفهم أمام أصدقائهم وأقربائهم.

سافرنا إلي أسوان، حيث لم نزرها منذ كنت صغيرة وكنت أتمنى زيارتها كثيراً، رغم أنهم في البداية لم يحبذوا الفكرة لشدة الحرارة في فصل الصيف لكنهم اقتنعوا في النهاية. لم أكن قد رأيت ميرا وعمر منذ نهاية الامتحانات سوى مرة واحدة فأخبرتهما هاتفيًا نبأ سفري.

اتصلت بميرا ولم تحزن أو تتأثر مطلقًا لفراقي، فضايقني ذلك؛ وبعد دقائق اتصل بي عمر. ابتسمت تلقائيًا بمجرد رؤية اسمه وأجبت سريعًا، فبمجرد سماعي لصوته أشعر وكأنني مسحورة أو أنني لست في هذا العالم ،عقلي يتناسى كل شيء ولا أنتبه سوى لصوته، صوته فحسب.

أخبرته عن سفري وعن رد فعل ميرا وأنني لم أتوقع أن تتعامل مع الخبر بتلك البرودة، فأقنعني أن هذا أفضل، فإن حزنت ربما كنت فكرت في التراجع عن السفر، أو ربما كنت سافرت ولم أستطع الِإستمتاع وأنا أشعر أنها حزينة بسبب سفري وتركي إياها بمفردها، وأنه حزين على مفارقتي كل تلك المدة لكنه سعيد لأنني سأكون سعيدة هناك.

أنهيت حديثي معه وشرعت في ترتيب ملابسي في حقيبة السفر، وخلدت للنوم مباشرة....

في الصباح استيقظت في سعادة ونشاط وارتديت ملابسي استعدادًا للسفر الذي استغرق قرابة ثلاثةَ عشر ساعة قضيناها في القطار، لكني لم أشعر بالضجر مطلقًا، كنت مشتاقةً ومتحمسةً جدًا لرؤية معالم أسوان التي لطالما سمعت عنها الكثير...

تعبنا كثيرًا حتى وصلنا ولكن ذلك التعب يبدو لطيفًا بالنسبة لي، فتحقيق الأحلام وإن كانت تافهة للبعض تستحق الشعور بالمشقة والعناء...

وصلنا لمنزل عمي مساءً، فرحب بنا كثيرًا هو وزوجة عمي وأبنائهما، كانوا لطفاء جدًا وأحببتهم كثيرًا.

استرحنا من السفر وفي اليوم التالي خرجنا مساءً للتنزه على ضفاف النيل. كانا أفضل أسبوعين في حيات،ي فقد زرت الكثير من الأماكن السياحية هناك التي طالما سمعت عنها ورأيت صورها في كتب التاريخ، زرنا معبد أبو سمبل ومعبد فيله ومتحف النوبة.

تمنيت لو أكملت حياتي هناك، لم أفكر في ميرا وعمر كثيرًا وهما لم يتذكراني على الأغلب، فلم يهاتفاني مطلقًا سوى مرة واحدة، هاتفني عمر وبسبب أسلوبه تمنيت لو لم يتصل مطلقًا.

عدت للقاهرة وقلبي مليء بالسعادة، ولكن منذ عودتي افتقدت ميرا وعمر كثيرًا وودت محادثتهما ورؤيتهما. ذهبت إلى منزل ميرا ولكني لم أجدها، وفي طريق عودتي قابلت عمر.. كم اشتقت لرؤياه.

بسعادة عارمة سألته عن أخباره ولكنه رد ببرود واضح:

ـ بخير، لا داعٍ لسؤالي، فيبدو أنكِ قضيتِ أسبوعين لطيفين ولم أخطر ببالك لحظة.

اندهشت من رده لكني لم أستطع الرد؛ هو على صواب، أنا لم أشتق إليهما، كنت سعيدة جدًا وتمنيت لو أمكث هناك لأخر عمري حتى وإن لم أراهما ثانية.

خرجت من شرودي ولم أجده. لقد ذهب!

قضيت عدة أيام في المنزل لا أفعل شيء سوى التفكير في هذا الموضوع، ولكن وأخيرًا هاتفتني ميرا ودعتني لتناول الغداء في بيتهم. سررت بدعوتها لي فيبدو أنها ليست غاضبة مني، وكما يبدو من صوتها أنها مشتاقة لي كثيرًا. ارتديت فستاني الوردي الذي اشتريناه أنا وميرا معًا واستأذنت أبي وذهبت إليهم، وهناك قابلت عمر وأعتذر مني كثيرًا عما حدث في آخر لقاء، وعاد كل شيء كالسابق. تناسيت كل تلك الأحداث، وكل المشاعر والأسئلة التي كانت تراودني في الفترة الأخيرة.

بدأت الدراسة وقد افترقنا نسبيًا أنا وميرا، فهي كانت قسم علمي شُعبة رياضة أما أنا فكنت قسم أدبي. لم نعد نتقابل كثيرًا كالسابق ولم يعد عمر متفرغًا لي أيضًا، ثم مَرّ العام سريعًا وحصلت على المركز الأول كالعام الماضي مما جعلني أتحمّس وأثق بنفسي أكثر.

هذه الأجازة لم نسافر، لكن ميرا وعمر وعائلتهما سافروا لقضاء الصيف بالإسكندرية، ليس أسبوعين فقط بل لنهاية الأجازة، فوالديهما كانا قد بدءا عملًا جديدًا هناك واشتروا شقة كبيرة للعائلتين.

كنت كلما حادثت ميرا أسمع صوت عمر بجوارها، في البداية لم أهتم لكن مع الوقت بدأ شعور غريب ينتابني، خاصة أن عمرا أضحى غريبًا ولم يعد

يهاتفني، وكلما اتصلت به يخبرني أنه ليس متفرغاً؛ أو سيخرج مع أسرته، أو أي سبب آخر..

وبعد أول شهر لم تعد ميرا تطيل في حديثها معي كعادتها، ولم تعد تهاتفني سوى كل بضعة أيام! بدأ الحزن يسيطر عليّ كثيرًا، عاد اشتياقي لأمان يزداد لكني كنت أرى صورها دائمًا مع أصدقائها الجدد فلم أحاول التواصل معها، فبعد كل محاولة كنت أندم على تفكيري في الأمر...

كانت دائمًا تدعى انشغالها وبعد وقت قصير أرى صورها مع أخريات، هي متفرغة للجميع عدايَ أنا... بالتفكير في الأمر بدأت أقارن بينها وبين عمر وميرا، وأتساءل هل سيرحلان عني هما أيضًا!!

يبدو أنه كتب على أن أكون وحيدةً دائمًا...

كُتب عليّ أن أُترَك من كل من أحب سواء برضاهم أو دون إرادة منهم....

أغلقت هاتفي وعزلت نفسي بغرفتي أسبوعين، أتذكر ذكرياتنا أنا وفرح، تمنيت لو كنت مت معها، ليتنا لم نفترق

كانا أسبوعين فقط لكنهما مرا وكأنهما عُمرٌ كامل. سمعت دقات الباب فإذا بها ميرا، أخبرتني أنهم عادوا من يومين وأنها تحاول الوصول لي منذ أسبوعين.

ـ لماذا عيناكِ متورمتان هكذا؟ ماذا حدث ولماذا أنتِ حزينة؟؟

سألتني ويبدو عليها القلق.

كذبتُ عليها وأخبرتها أن فرح قد توفيت في تلك الفترة لذلك كنت حزينةُ عليها.

حاولت تغيير مجرى الحديث قائلة:

ـ لن تصدقي الخبر الذي سأخبرك إياه.

قالتها وهي في غاية السعادة

ـ بشريني ما هو؟؟

ـ سأُخطب قريباً

ـ أليس باكرًا جدا هذا الموضوع؟

ـ باكراً جداً! أنا أنتظر هذا الخبر منذ سنين، أنا أحبه منذ صغري وأخيرًا قد استجاب الله دعواتي.

ـ لم تخبريني شيئًا كهذا من قبل!

ـ لقد كان سري الوحيد.

ـ ومن هو سعيد الحظ؟؟

ـ عمر

قالتها وهي في غاية السعادة فلم تنتبه لصدمتي

ـ عمر، عمر من؟!

كنت أحاول تكذيب أذني، بالطبع هذا ليس حقيقيًا، أنا أحلم حلمًا سخيفًا.

ـ عمر ابن عمي، ما هذا السؤال؟

ـ مبارك حبيبتي.

لا أعرف كيف نطقت، لكني باركت لها وأخبرتها أني أحتاج للراحة فمعدتي تؤلمني كثيرًا.

ودّعتني وأخبرتني أنها ستزورني قريبًا للاِطمئنان على صحّتي... رحَلَت ولم أعرف ما الذي يتوجّب على فعله، هاتفت عمر كثيرًا لكنه لم يرد. تعبت من التفكير إلى أن غفوت.

استيقظت صباحًا لأجده قد أرسل لي رسالة يعتذر مني ويخبرني أنه في البداية أُجبر على ذلك لكنه أيقن أن ميرا هي الأنسب له....

صعقت من رده ولم أشعر بنفسي إلا بعد مدة، لا أدري إن كانت كبيرة أو صغيرة!

استيقظت لأجد نفسي في المستشفى وبجواري أبي وأمي وقد أخبرهم الطبيب أنه إغماء بسبب قلة الطعام، فأنا مضربة عن الطعام منذ أيام...

كتب لي الطبيب فيتامينات وسمح لي بالخروج وطلب من أمي الاهتمام بغذائي عدنا للمنزل وبعد ساعة جاءت ميرا، ظننتها قادمة للاطمئنان علي.

بدأت حديثها قائلة:

ـ تعرفين مدى حبي لكِ، لكني أحب عمر من قبل أن أعرفكِ وهو أغلى ما لي

في الحياة... أخبرني عمر عن حبكما، في البداية انزعجت من كليكما لكنه أقسم لي أنه لم يعد يحبك وأنه كان يحبني منذ صغرنا ولكنه لم يفهم أن هذا كان حبًا... أعرف أن كلامي لن يكون سهلًا عليكِ لكننا لا نريدك ثانية في حياتنا، لن نستطيع أن نعود أصدقاء كالسابق، إلى اللقاء وأتمنى أن تكوني بخير...

قالت ما جاءت من أجله ورحلت، لكني لم أبكِ لا عليه ولا عليها، فقد بكيت كثيرًا بعد رحيل أمان؛ أما الآن فلا، لن أبكِ على أي شخص ثانيةً، من هذه اللحظة سأعيش وحدي، لن أسمح لأي أحد باقتحام حياتي...

يومها قررت ذلك وقررت أنني سأبذل قصارى جهدي لأحقق أحلامي وسأحيا فقط من أجل ذلك...

بدأ عامي الأخير والأهم في الثانوية، كنت لا أكِل ولا أمل من المذاكرة؛ كلما حاول أي أحد الاقتراب مني كنت أعامله بطريقة سخيفة حتى لا يفكر في ذلك ثانية، إلى أن جاءت فترة الامتحانات وكالعادة كنت الأولى وحصلت على تسعة وتسعون بالمائة...

بعد عدة أيام عرفت صدفة أن ميرا قد رسبت وأن عمر قد تخلى عنها وتركها وأن حالتها النفسية سيئة...

لن أكذب حزنت عليها، لكنني فرحت أن الله لم يجعلني استمر مع ذلك الشخص الوضيع وأنه نجاني منه .

التحقت بكلية الإعلام، وهناك لاحظت أنها تحاول دائمًا الاقتراب مني، لن أكذب عليك أشعر أنها شخص جيداً، منذ عرفت أنها تدعى "فرح" وأنا أشعر أنني أود معانقتها. أود التعرف عليها ومصادقتها كما ترغب هي وأكثر، لكني لا أستطيع...

لم أعد أستطيع الوثوق بأحد، لا أود الاقتراب من أي أحد حتى لو كنت على يقين أنه شخصية جيدة، أخشى أن يسرقها مني الموت كما فعل مع فرح...

ـ أتفهم شعورك، لكن أتسمحين لي أن أحادثكِ كصديق وليس كطبيب؟

ـ بالتأكيد

ـ إذن سنلتقي ثانية لكن ليس هنا، فهنا أقابل مرضاي فقط، وأنتِ لم تعودي مريضتي بل صديقتي.

ـ شكرًا لك

ـ أرأيتِ؟ من جلسة واحدة وافقتي على أن تكوني صديقتي دون أن تلاحظي. اجعلي إحساسك يرشدك إلى الطريق ولن تندمي، ربما لن تكون النهاية سعيدة دائمًا لكننا لم نُخلق لنكون سعداء فحسب.. خُلق الحزن لنشعر بالسعادة ومدى تأثيرها، وكل ما حدث معكِ حتى وإن أحزنك بالتأكيد كان سببًا في غرس شيء جديد داخلكِ.

ـ ساعة واحدة لكنني تذكرت بها ما حدث معي كله ولأول مرة أشعر بالرضا، لست حزينة فالله قد نجاني مرات عديدة!! فرح هي الوحيدة من تستحق أن أحزن عليها، لكني أشعر أن الله أرسلها لي ثانية لذا سنصبح أنا وفرح صديقتين بالتأكيد...

بعد عدة أيام كانت فرح تجلس بمفردها فاتجهت نحوها وتحدثت معها، حينها تذكرت أول لقاء لي أنا وفرح الأولى وكيف ببساطة أصبحت صديقتي، فقررت أن أفعل مثلما فعلت في الماضي.

ـ هل توافقين أن نكون أصدقاء؟

وقفت وعانقتني وأخبرتني أنها منذ أول مرة رأتني بها كان شيء داخلها يؤكد لها أننا سنصبح صديقتين.

بعض الأشخاص نظرةً واحدةً لهم تبين لنا إلى أين ستصل علاقتنا معهم.

قويت علاقتنا وكانت دائمًا تذكرني بالصلاة بعدما أخبرتها أنني منذ سنوات وأنا منقطعة، ووقتها فهمت حكمة الله، فمنذ معرفتي بميرا وعمر وقد تغيرت كثيرًا ولم أعد أهتم بصلاتي وأذكاري، كما أنني بدأت بارتداء ملابس ضيقة وقصيرة ولا تليق بي كمسلمة فقررت أن أرتدي الخمار كفرح...

فرحت فرح بقراري كثيرًا وفي اليوم التالي مباشرة ذهبنا للتسوق واشتريت ملابس فضفاضة وأخمرة، ومن يومها أصبحت ذات الخمار.

لم أتوقع أن يفرح إسماعيل حينما يراني بالخمار هكذا، فقد أصبحنا نتقابل كثيرًا منذ أن دعاني خارج العيادة. كنت أشعر أنني أمتلك مشاعر مختلفة تجاهه، لا أدري إذا كان حبًا أم إعجاباً، لكنني أفتقده وأشتاق إليه كثيرًا...

كنا أنا وفرح نتسامر ووجدتني أخبرها عنه وعن كل تصرفاته وعما أشعر به نحوه وأكدت لي أنني أحبه وهو أيضًا يحبني، لكن أخبرتني أنه لا ينبغي على مقابلته ثانية وأن أضع حدودًا في التعامل مع أي رجل مدام غريباً عني...

في اليوم التالي اتصل بي؛ ترددت كثيرًا ولم أرد عليه، لكنه استمر في الاتصال فاضطررت للرد، لكنه لم يقل أي شيء سوى أنه طلب رقم والدي وأخبرني أنه يحتاجه في شيء مهم يخص العمل، فقد كان أبي طبيبًا في نفس المستشفى التي يعمل بها، لكنني لم أذهب للمستشفى وذهبت للعيادة حتى لا يعرف أحد...

وفي المساء أخبرتني أمي أن ضيوفًا سيزوروننا وطلبت مني ارتداء ملابس فاتحة وأكدت على عدم ارتداء أي شيء غامق كعادتي.

ناداني أبي لأُفاجأ بوجوده هو وعائلته، وبعد عدة دقائق تركونا بمفردنا. كنت متوترة جدًا ولا أعرف ماذا أفعل أو أقول، فبدأ الحديث بصوتٍ هادئٍ قائلا:

ـ ليست ثقة، لكنني أشعر أنكِ ستوافقين، لذا أنا طلبت من والدكِ أن يكون يوم الخميس هو موعد عَقد قرانِنا، فنحن نعرف بعضنا جيدًا.

لم أستطيع التحدث واكتفيت بابِتسامة، وبمجرد ذهابهم اتصلت بفرح وأخبرتها وكنت في غاية السعادة، فيبدو أن الحياة ستعوضني عن أحزان الماضي.

مرت الأيام سريعًا وجاء موعد عقد القران، والذي كان أجمل أيام حياتي.

كنت بعيدة عن الله، لم أرجوه ليزيل الحزن من قلبي، ولم أفكر في الرجوع إليه، لكنه رغم ذلك لم يتركني ولم يتخل عني، فأرسل لي فرح عوضًا عن فرح؛ أما إسماعيل فليس عوضًا عن أحد، بل استجابة لدعوات فرح الأولى لي الدائمة قبل وفاتها، فلما جاءني شعرت وكأنني أملك كل نعيم الدنيا وكل آمال الآخرة، وبمجيئه ذهبت كل السنوات العجاف لتبدأ سنوات الخير والسعادة...



من أكون

هذا العالم مليء بالمرضى النفسيين، لكن المرضى الحق لا يعترفون بذلك.

هل تساءلت يومًا حينما كنت تتابع قضية ما عن شعور المتهم والجميع مستمر في إلقاء التهم عليه ووصفه بأبشع الخصال؟! هل تساءلت ما الذي دفعه لارتكاب تلك الجرائم، وهل يرى أنها جريمة ويجب أن يُعَاقب عليها حقًا أم يراها أمراً تافهًا لا يستحق؟!

هل تخيلت نفسك محله وتساءلت ما الذي يجب عليك فعله لتدافع عن نفسك؟!

بالطبع لم ولن تفكر في الأمر.

شيء كالإدمان مثلًا تظنه اختباراً أم اختيار!!!

الاغتصاب والتحرش ذنب من؟ الجاني أم المجني عليه أم كلاهما!!!

انتشار السرقة ما السبب وراء ذلك!!!

الكثير من الجرائم المنتشرة التي لا يلتفت لها أحد إلا إذا حدث ما يسبب ضجة، وسرعان ما يتم نسيان الجريمة بانتهاء الضجة.

ها أنا بعد ثلاثة أيام متواصلة من التحقيق أقف خلف القضبان وأنتظر مصيري المجهول الذي ستحدده جملة واحدة من القاضي!

المكان مكتظ للغاية وتعمه الفوضى، لا يمكنك تمييز صوت أحد من كثرة المتحدثين. وها هم أهلي وأصدقائي، هؤلاء الذين لطالما وددت بالشعور بمحبتهم حتى وإن كانت مزيفة، يقتربون مني يقولون أشياء لا أستطيع سماعها، لا أدري من الضجيج المنتشر حولي أم المنتشر داخلي.

قد أبدو هادئة ومنصتة لما يقولون لكني منشغلة بالحروب المقامة داخلي. عقلي وقلبي يتصارعان كلًا منهما يلقي اللوم على الآخر فيما وصلت إليه، بينما أنا مازلت في حالة ذهول، ما زلت لا أصدق أن شيئاً تافهاً كهذا يستدعي كل ما حدث، وأن مجرد تناولي بعض المخدرات، التي تجعلني أنسى العالم وما به وتشعرني بالسعادة، يعتبر جريمة وأستحق أن أعاقب عليها...

لا أدري كيف يتركون كل هؤلاء الذين يرتكبون أبشع الجرائم ويسحبوني أنا إلى السجن!!!

الكثير من التساؤلات تدور بعقلي منذ ثلاثة أيام ومازلت لا أستطيع أن أجد لها إجابات....

فقد تم القبض على منذ ثلاثة أيام وبحوزتي قطعة حشيش، أخذوني إلى القسم، وقتها فقط تذكر أهلي أن لهم ابنة، جاءوا ومعهم محامي يبدو أنه محامي معروف ولا يخسر أي قضية، وأنه قد أخذ منهم أموالاً طائلة ليعمل على إخراجي مهما كلف الأمر، استمر في الحديث عن السبل الطائعة واتفقنا على ما يجب على قوله

في المحكمة....

ساد الهدوء المكان فجأةً ليظهر الحاجب معلنًا عن قدوم القاضي "محكمة"

نادى الحاجب بصوت مرتفع فوقف الجميع مضبوطين كالتلاميذ في الطابور المدرسي لا تسمع لهم همسًا حتى أذن لهم القاضي بالجلوس، ونادى على الحاجب وأمره بالنداء على القضية الأولى بعد افتتاحه الجلسة.

ـ القضية الأولى.. المتهمة جيلان السيد أحمد في القضية رقم 000 مخدرات.

نظر القاضي في الأوراق أمامه ثم وجه سؤاله لي:

ـ كيف لطبيبة نفسية تعرف خطورة تعاطي المخدرات أن يُقبض عليها وبحوزتها قطعة حشيش؟!

استغرقت بضع ثوان ألملم أفكاري ومن ثم أجبته مستنكرة:

ـ وماذا في ذلك؟!

اندهش كل من في القاعة من إجابتي واستمر الجميع في التحديق في القاضي منتظرين رده، لكن يبدو أنه لم يهتم بإجابتي وقرر أن يسألني سؤالاً آخر:

ـ لماذا كان الحشيش بحوزتك؟ هل أنت من تتعاطينه أم أنه لشخص آخر؟!

كان يمكنني نفي الأمر وأخبره أن الحشيش ليس لي، وأنه حين تم تفتيشي لم يكن بحوزتي وأن الضابط هو من دسه في سيارتي، أو أي شيء من هذا القبيل،

أو أكتفي بالصمت كما أخبرني المحامي، لكني وجدت نفسي ودون إرادة مني أسأله:

ـ أتسمح لي أن أقص عليك قصتي من البداية، فأنا الطبيبة النفسية التي تنصت للجميع، لم أجد من يسمعني يوماً، ويبدو أنني سأستغل فرصة وجود كل هؤلاء اليوم وأزيل ذاك الحمل الثقيل على قلبي.

نظر لي المحامي مندهشاً من عبارتي لكني لم أبالي، وبمجرد أن سمح لي القاضي بدأت في الحديث مصوبة نظراتي تجاهه فحسب.

ـ في البداية أُدعى جيلان، نشأت في مدينة القاهرة حيث الازدحام وعوادم السيارات، التلوث، المشاكل الأسرية، الانحلال، والجشع وكل ما يخطر ببالك يحدث بها. تُدعى القاهرة، وتصِب كل من يحيا بها بالقهر. ولدت في أسرة ميسورة الحال، كنت الابنة الوحيدة لأهلي حتى عامي السادس، كان كل اهتمامهم بي وحدي، ليس اهتمامًا كبيرًا لكن كانوا يحضرون لي كل الألعاب التي أريدها، تصحبني المربية في نزهة أسبوعية، يأخذوني معهم في الزيارات العائلية وأشياء أخرى لا أتذكرها، لا أذكر سوى أني كنت أشعر بالسعادة في صغري، لكن بمجرد أن وضعت أمي صبيًا تغير كل شيء.....

لقد نسوني تمامًا وتحول اهتمامهم نحوه فحسب، أسموه أميراً وكان يُعامل كأمير بالفعل؛ تركت أمي عملها لتتفرغ له دائمًا، بينما كانت تتركني مع المربية

وأنا في مثل عمره. كان أبي كلما عاد للمنزل يجلب له الحلوى والألعاب، بينما أنا لا يكون من نصيبي سوى ما لا يعجبه فحسب؛ كنت رغم صغر سني أشعر دائمًا أن كل ما حولي يسبب لي الحزن، فكنت أركز بدراستي لأتفوق وأسعدهم ليحبوني ثانية، لكن لم يحدث ما تمنيت مطلقًا.

أتذكر أنني حصلت على المركز الأول في الصف الثالث الإعدادي، وبدلًا من تهنئتي عنفوني واتهموني بأنني أهمل أخي ولا أحبه ولا أفكر سوى بنفسي ولا أفكر في مساعدته في مذاكرته مطلقًا، طفلة في الثالثة عشر من عمرها تُعنّف من أجل شيء كهذا متناسين نجاحها. قررت ألا أفكر سوى بنفسي منذ تلك اللحظة، وكرست حياتي للدراسة، الدراسة فحسب، ربما أستطع تحقيق شيء يجعلني فخورة بنفسي، لا يهم رأيهم بي، لا يهم أي شيء في هذه الدنيا. يكفيني أن أكون سعيدة وفخورة بنفسي.

أكملت حياتي وكأنني بلا أهل، لم أستطع الوثوق بأحد فلم أستطع تكوين صداقات عميقة، كلها كانت صداقات عابرة، عشت وحدي إلى أن أصبحت طبيبة نفسية وقابلت الكثير من المرضى وسمعت الكثير من القصص فعلمت أني لست وحدي من يعاني في تلك الحياة، كلنا نعاني وكلنا نملك قصة لا نستطع نسيانها، حتى قابلتها.. تدعى هبة، وقد جاءتني كهبة من الله لأجد حلًا ومهربًا من حياتي؛ كانت تعاني من الوحدة والاكتئاب الدائم. كان والداها

منشغلين في أعمالهما ولا تراهما إلا صدفةً، كانت تثور وتتعصب لأتفه الأسباب فابتعد عنها أصدقاؤها، وأصبحت تقضي يومها ما بين الكتب والموسيقى. كانت ناضجة رغم صغر سنها لكثرة ما قرأته، فالكتب وحدها قادرة على منحك الخبرة دون أن تمر بأي تجارب، والموسيقي قادرة على انتشالك من أحزانك، لكنها سأمت الحياة وقررت الانتحار، ولحسن حظها أو لسوءه لا أدري، فشلت فقرر والداها أن يجعلاها تتابع معي، وبدوا مهتمين بها، لكن بعد أسبوع واحد فقط تناسوها وكأن شيئاً لم يكن. يقولون دائمًا المجروح من عائلته لا يشفى أبدًا، وها نحن ومهما حاولنا لن نستطع أن نعود كما كنا. كنت أحاول معها وأنا على يقين أن حياتها لن تتحسن، فهي لن تنسى وحدتها وما فعلته بها، لن تنسى حزنها الدائم في غياب أهلها، ولن تنسى اشتياقها لأصدقائها الذين تخلو عنها. قد نتناسى أمرًا ما، لكن عندما تتفاقم الأسباب لا نستطع فعل شيء سوى البكاء حتى نكره كل تلك الأشياء التي أوجعتنا وأوصلتنا لتلك الدرجة..

بعد فترة ما قررت هبة أن توقف علاجها، لكننا صرنا أصدقاء وأصبحنا نلتقي كثيرًا، تعرفت هي على شخص ما وبدأت في تعاطي المخدرات، لأول مرة أهتم لأحد وحاولت إقناعها أنها شيء خطير وضار. حاولت التودد إليها قائلة إنها إدمان ولن تتمكن من الإقلاع عنها. رمقتني لثوان قبل أن تجيب بلهجة تائهة:

ـ لكني أستطيع في أي وقت أن أكف عنها، هي فقط تمنحني السعادة التي لطالما كنت أبحث عنها.

هتفت بها:

ـ إنها سعادة مؤقتة؛ ثم وبصوت أهدأ

ـ تلك المخدرات ستدمركِ. هل تعاطيت في أول مرة نفس القدر الذي تعاطيته في المرات التالية؟!

صمتت قليلًا ثم حركت رقبتها أن لا.

نظرت لها وبادرت بسؤالي ما إذا كانت تعي السبب في ذلك، وحين لم تُجبني استكملت حديثي:

ـ في بداية الأمر كان أقل مقدار يفي بالغرض، لكن بعد أن أعتاد جسدكِ عليها ستضطرين لزيادة المقدار في كل مرة لتتحولين الي مدمنة!!

ـ ليس مهماً، ليست أزمة أن أصبح مدمنة، في كل الأحوال لا أحد يهتم لأمري!

لم أستطع إخبارها أني أهتم فاضطررت للصمت ولم أعلم ما يجب عليّ فعله، لكني قررت أخذها لشيخ ما علها تغير رأيها، وتقتنع أن المخدرات ليست حلاً وأنها محرمة وليست مضرة فحسب....

حاول للشيخ تبسيط الأمر لنا ولماذا حرمها الله، حيث بدأ حديثه بقول الله تعالى "ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة "، ثم أوضح لنا كيف لشيء نظنه بسيطاً –

كتعاطي المخدرات ونحسبه حرية شخصية- أن يجعلنا ودون أن ندرك ما نفعل نقوم بالسرقة والقتل وأبشع الجرائم، فهي تُذهب العقل، والمخدرات كالخمر وقد قال الله في كتابه العزيز {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} المائدة 90 وقال صلى الله عليه وسلم "ما أسكر كثيره فقليله حرام"، غير أن للمخدرات مضار نفسية وجسدية وعقلية.

أكدت حديثه بقولي لهبة أن القلق البادي عليها حتمًا سببه تعاطيها المخدرات، حيث العلاقة وثيقة بينهما؛ فالمدمن يستمر في القلق دائمًا ويعتقد أن القلق سيزول بتناول جرعته المعتادة، ولكن هذا لا يحدث.

فاستكمل الشيخ حديثه قائلًا إن المخدرات تدفع من يتناولها للكذب والسرقة...

تذكرت حينما كذبت هبة عليّ في بداية تعاطيها حين سألتها عن سبب احمرار عينيها، فأخبرتني أنها لم تنم جيدًا رغم أن السبب كان المخدرات...

بدا على صديقتي الاقتناع التام ووعدتني أنها ستتابع معي ومع طبيب آخر وستحضر جلسات فردية وجماعية إن استوجب الأمر، ولكن لم يحدث أيًا مما قالت، ففي اليوم التالي سمعت خبر موتها وعرفت من مواقع التواصل الاجتماعي انها ماتت إثر جرعة زائدة من المخدرات. لأول مرة أحزن على فراق

أحد، وبدأت أشعر بالوحدة من جديد، وبدأت تظهر عليّ أعراض الاكتئاب، واستمرت جملة هبة تراودني: الإدمان اختبار وليس اختيار.

من يومها لم أستطع النوم دون مهدئات إلى أن أدمنتها، ومع الوقت قررت تجربة المخدرات لمرة واحدة فحسب، لكن حينها انتابني شعور لم أشعر به من قبل؛ فتناسيت كل ما أخبرت هبة به من قبل، وتناسيت كلام الشيخ؛ تناسيت كل شيء واستمتعت بتلك السعادة. كنت وحدي دائمًا ولم يهتم بي أحد، لم أشعر بالسعادة مطلقًا فلا يهم ما هو الصواب والخطأ، الأهم أنني في قمة سعادتي.

كانت أول مرة أتعاطى المخدرات، وفي المرة الثانية تم القبض علّي، وها أنا الآن أقف أمامكم. أتريدون حبسي بعد كل ما عرفتموه؟ أمازلتم تروني مخطئة؟!

أنتم المخطئون إذا تركتم كل من تسببوا في إيذائي وتشويهي ومن تسببوا في إيصال هبة للموت، من تسببوا في اكتئاب وتعقيد كل الحالات التي مرت علّي وقررتم أن تسجنوني أنا. اللعنة عليكم جميعًا.

انتشر الضجيج وبدأ الجميع في الكلام، إلى أن وجدها المحامي فرصة ووقف أمام القاضي محاولًا إثبات أنني أعاني من مرض نفسي ويجب تحويلي لمستشفى الأمراض العقلية ويبدو أن القاضي قد أقتنع، وأعلن قائلًا:

ـ حكمت المحكمة حضوريًا بتحويل المتهمة جيلان السيد أحمد لمستشفى الأمراض العقلية...

ستميتك أحزانك يوما

كيف لك أن تقنعني أنني أمثل لك شيئًا عظيمًا، بل أعظم ما تملكه ثم أكتشف فجأةً أنك فقدت الأمل بي منذ عمر، أنك لا تراني سوى شخص لا يستحق أيًا مما يملك، مجرد حمل تأمل أن يُزاح من فوق عاتقك، تؤمن أنني لا أستطيع أن أصبح أي شيء في المستقبل، كيف لك أن تجعلني أرى نفسي بهذا السوء؟! ألم تفكر بما يمكن أن يحدث لقلبي إثر تلك الكلمات؟! أتراني قوية لتلك الدرجة لتضيف كل ذلك الوجع لقلبي؟!

تعلم جيدًا أنني لا أنسى من أساء لي يومًا، فكيف تجعل قلبي بهذا السوء؟؟

أترى أنني يمكنني نسيان أثر تلك الكلمات؟!

يقولون المجروح من عائلته لا يشفى أبدًا، وقد تأكدت بنفسي من صحة تلك العبارة، فأنا لم يكن لي في تلك الحياة سوى أبي، كنت كل ما له، فقد توفيت أمي وأنا في العاشرة ولم يرغب أبي في الزواج ثانية حتى لا يكون سببًا في معاناتي يومًا كما يحدث غالبا للأبناء من زوجات أبيهم فكان لي أبًا وأمًا، منحني الدعم دائمًا لكن وللأسف في الأمور التي يحبها فقط وأي أمر أخر لا يستهويه كان يشعرني بمدى تفاهته.

كنت أحب أبي بشدة، فقد قدم الكثير ماديًا ومعنويًا، ورغم ذلك دائمًا ما كنت

أتمنى أن أحظى ولو بشخص واحد فقط يدعمني فيما أحب.

محظوظون أولئك الذين يمنحون الدعم لمن يحبون في تحقيق ما يتمنون حتى وإن لم يكن الأنسب لهم، لكن يكفيهم أنهم يرغبون في تحقيقه.

بينما كنت أحب الرسم كثيرًا كان أبي يحذرني دائماً من تضييع وقتي في الرسم، في حين أرى صديقاتي يذهبون لورش الرسم بصحبة آبائهم وأمهاتهم. أعلم مدى انشغال أبي وأنه لا يملك الوقت لاصطحابي، لكن يكفيني أن يسمح لي فقط في الاشتراك في تلك الورش، وبالطبع لم يحدث ذلك مطلقًا.

لم تكن حالتي النفسية جيدة في الثانوية العامة، لازمني التوتر والخوف على مدار هذا العام مما جعل صحتي تسوء وفقدت الكثير من الوزن. قضيت معظم وقتي في المذاكرة فقط، منعت نفسي من الخروج والهاتف والتلفاز وكل ما يمكنه إلهائي، لكني لم أستطع منع عقلي من التفكير.

كلما لاحظ أبي جهدي الزائد نبهني لصحتي وأحيانًا يأخذني لنذهب لمطعم أو الملاهي وأحيانًا السينما معللًا أنه لا يمكنني المواصلة بطريقتي تلك!

كان يدرك مدى اجتهادي وحرصي الشديد على الوقت، لذا في أخر شهر لم يقترح عليّ الخروج مطلقًا، لكن عند عودته للمنزل يحضر لي العصائر والشوكولا وكل الأطعمة التي أحبها.

وحينما لم أُوفق في الثانوية انهرت وصرت أبكي وأصرخ بكل طاقتي، لم أحزن

على ضياع حلمي فحسب، بل حزنت على مجهودي وتعبي طوال العام. هوّن أبي كثيرًا عليّ وعرض أن يقدم أوراقي في إحدى الجامعات الخاصة لكني رفضت وقررت الالتحاق بكلية الحقوق، رغم أن مجموعي لم يكن منخفضاَ لتلك الدرجة، لكني أرى نفسي محامية ذكية يمكنها أن تساعد المظلومين. فأحببت الكلية وشعرت أن كل ما حدث كان حكمة من الله لأصنع لنفسي حلمًا جديدًا يليق بي.

لم يحب أبي كلية الحقوق مطلقًا ولولا تعبي في تلك الفترة لرفض التحاقي بها. فقبل يوم التقديم ناداني وحاول اقناعي بِالالتحاق بكلية أخرى، وخلال نقاشنا ارتفعت نبرة صوتي فجأة دون أن أشعر مما أغضبه فأكمل حديثه قائلًا:

ـ أخبرتكِ أنني لا أحب المحاميين ولا أثق بهم، فمعظمهم محتالين وقد يكونون سببًا في موت شخصٍ بريءٍ أو إخراج مجرم من السجن أو أي شيء فقط من أجل المال، إنهم يتلاعبون بالقانون من أجل مصالحهم الخاصة.

أجبته بهدوء لأهدئ من غضبه:

ـ ولكننا إن تركنا لهم الساحة فارغة سيزدادون، بل سيصبح الجميع أمثالهم؛ يجب أن نقف بجانب الحق ولا نترك من يحتاجون العون.

ملّ من حديثي وتركني قبل أن أنهي كلامي ككل مرة!!

في اليوم التالي استيقظت في حماس وقبل أن يدق المنبه وذهبت للجامعة.

وصلت مبكراً ولم يكن موجوداً سوى عدد قليل، فجلست أنتظر وتعرفت على بعض الفتيات وتبادلنا أرقام هواتفنا.

استغرقنا قرابة ثلاث ساعات في الإجراءات، ورغم الحرارة الشديدة والازدحام لم أمل ولم أتعب لأنني ولأول مرة لم أكن بمفردي. هاتفني أبي في طريق عودتي وقابلني وعدنا للبيت معاً.

سألني عن يومي فقصصت له كل ما حدث، وحادثته عن أصدقائي الجُدد فتغيرت ملامحه وظل يسأل من هم وأبناء من، وعندما لم أعرف عنهم أي شيء سوى أسمائهم غضب وهتف بي:

ـ ألم أخبركِ ألا تصادقي أي شخص، ألا تعرفين من أنتِ وابنة من؟ ماذا إن استغلك أحدهم؟ وماذا .....

قال الكثير من العبارات المكررة التي صرت أحفظها، وفي النهاية أخذ هاتفي وقذفه من السيارة وأردف مستكملًا بكل برود:

ـ سأحضر لكِ هاتفًا أحدث منه في المساء، لا تحزني فأنا أخاف عليكِ، أنتِ لا تعرفين شيئاً عن العالم وعن هؤلاء الناس، لذا لا تقتربي من أي شخص مهما حدث.

يرفض اختلاطي بالناس دائمًا، لا يصادق أي أحد ويريدني أن أسير على خطاه، "البشر منافقون، لا يحبون الخير لأحد، لا يقدّرون ما تفعليه لأجلهم، إياكِ

والوثوق بأحد".

يردد هذا الحديث دائمًا حتى مللت منه.

لم يكن لي أي أصدقاء مطلقًا لكني لطالما رغبت في ذلك. أرى الكثير من الأصدقاء يحبون بعضهم كثيراً، يفعلون أي شيء من أجل أصدقائهم، يخشون عليهم من الأذى؛ فهل كل ما أرى خداعاً وليس صحيحًا؟ هل أبي الوحيد من يملك نظرةً صائبةً في الحياة؟!

بدأت الدراسة ولم أصادف أياً ممن تعرفت عليهم في اليوم الأول، فحمدت الله حتى لا يعرف أبي ويغضب عليّ ثانيةً. ركزت في دراستي وانتهى عامي الأول في الكلية بسرعة وجاء موعد الامتحانات؛ ورغم توتري كل امتحان إلا أنني كنت أطمئن نفسي وأخبرها أننا سننجح وسنصل، فالله لن يضيعنا أبدًا.

انتهت الامتحانات وجاء يوم النتيجة وكنت الأولى، عدت مسرعة نحو المنزل لأخبر أبي الخبر قبل أن يخبره أحد آخر، وبمجرد وصولي سمعته يهاتف أحدهم:

ـ الأولى!! كنت أتمنى أن ترسب هذا العام لأستطيع إقناعها أن تحول لكلية أخرى، وأنت تخبرني أنها الأولى على الدفعة. لا أريد أن تصبح ابنتي محامية، ليتها ما أكملت تعليمها، ليتها فشلت من البداية، كل عام تصبح الأولى وفي الثانوية لم تحقق ما تتمناه وتتمسك بكلية الحقوق! ماذا يعجبها في هذه الكلية؟

تلك الغبية التي لم أنجب سواها! تمنيت أن تلتحق بكلية التجارة لتساعدني في إدارة الشركات، ولكنها رفضت؛ ليتني أنجبت ولدًا يقدّر تعبي طوال هذه السنوات.

قال كل ذلك بنبرة مرتفعة، ولا يدري أنني أقف خلفه مباشرة أستمع لكل حرف يخرج من بين شفتيه مفتتًا قلبي. لم أشعر بنفسي، كانت قدماي تتحرك دون إرادة مني، استمريت في السير ولا أعرف أين أنا، حديث أبي لا يفارق رأسي.

تذكرت كلامه حينما اقترحت عليه الإِلتحاق بجمعية خيرية، وقتها أخبرني أنه من يلتحق بعمل تطوعي يكون مؤهلاً لفعل شيء واحد على الأقل، أما أنا فلا أملك القدرة على فعل أي شيء! دائمًا يشعرني أنني ليس لي أهمية وأنني عالة على المجتمع، ورغم ذلك يتباهى بي أمام الجميع.

كان لكلماته وقع أليم على قلبي، لكني لم أبين حزني فقد خُلقت قوية ولا يمكنني إظهار حزني وضعفي أمام أي شخص، هكذا علّمني دائمًا. لذا لم أبكِ أمام أي أحد من قبل حتى أبي.

أصيب رأسي بالصداع بسبب ما يدور فيه، ولم أعد أرى أو أسمع أي شيء حتى صراخ المارة حينما قطعت الطريق السريع، ولكن هذا ليس مهماً، فيبدو أن أمنيتي قد تحققت وسأذهب أخيرًا لأمي.

شكر وعرفان

إلى أهم من في الحياة وكل الحياة.. "أمي"

من لم يبخل عليَّ يومًا ومنحني الحب دائمًا.. "أبي"

أعظم هدايا الله لي.. "أخوتي"

من علمتني كيف أحب نفسي.. "هاجر أحمد"

من دعمتني دائمًا وقبل أي أحد.. "نورهان عبد الناصر"

من لم تمل حديثي مطلقًا وتتحمل مزاجيتي.. "هالة خالد"

من كانت بجانبي في كل خطواتي.. "سلمى عثمان"

من كان لي أكثر من أخ، خير داعم وناصح.. "أحمد زناتا"

كاتبي المفضل دائمًا وأبدًا.. "محمد طارق"

من دعموني خلال كتابة هذا العمل.. "أحمد محمد_ ندى محمد(شكس)_ محمد رمضان"

أفضل هدايا القدر.. "هاجر محمد_ نجلاء نجيب_ فايزة عصام_شروق محمد_إيمان أحمد_أسما محي_ أيه وهبه_ مريم طايع_مريم محمود_ فاطمة إيهاب_نهى إسماعيل_محمود مكرم الله_يوستينا ماجد_إبتسام محمد"